الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

أثر الأمثال في دلالات الخطاب القرآني
سورة البقرة أنموذجا

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبتين

بهاء مقدودة

رباني ياسمين

إشراف الأستاذ

أرزقي شمون

السنة الجامعية:2020/2019

سُورَةُ الحَشۡرِ

لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ
جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ
خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

إهـــــــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى منبع الأمن والطمأنينة والحب، إلى وردة الدار المعطرة بنسيم الابتسامة، إلى أجمل وأحن وأرق قلب عرفته، إلى بسمة حياتي وهوى قلبي...، أمي الغالية وقرة عيني، وإلى الذي كرس حياته لتعليمي، أبي أطال الله في عمرهما.

إلى إخوتي الذين وقفوا دائما بجانبي:

بلال، مريم، فاطمة.

إلى الذي ساندني وخطا معي كل خطواتي، ويسّر لي الصعاب، نبيل.

إلى من مد لي يد العون وكان بمثابة أخ لي: الأستاذ "بهاء عميـروش."

مقدودة

إهـــــــــــداء

أهدي ثمرة جهدي هذا:

إلى أغلى الناس وأحبهم إلى قلبي، إلى الذي ضحى بأحلامه من أجل بناء حلمي، أبي العزيز.

إلى التي بين يديها كبرت، وبدفء قلبها احتميت وبين ضلوعها اختبأت، إلى التي كان دعاؤها وسيبقى رفيقا لي ونور دربي، أمي الغالية.

إلى إخوتي الذين وقفوا دائما بجانبي: لوصيف، لونيس، سيدعلي، وأختيّ: وردة وصونية.

إلى أصدقائي الذين عشت معهم حلو الحياة ومرها، ورافقوني طوال مشواري الدراسي: فازية، نورة، نصيرة، سيهام، عادل، كريم، وجوبا.

إلى الذي ساندني وكان بمثابة أخ لي، الأستاذ "حسين حيدرة."

وختاما نهدي عملنا هذا على وجه الخصوص لأستاذنا الفاضل "شمون أرزقي "الذي لم يدخر جهدا في مساعدتنا، كما هي عادته مع كل طلبة العلم، فله من الله الأجر ومنا كل الامتنان والتقدير، حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية.

ياسمين

مقدمة :

الحمد لله الكبير المتعالي ذي العظمة والجلال، المتوجه إلى عباده بأفصح مقال، أظهر الحق وجلاه في أبين حال، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين، أما بعد :

أنزل الله تعالى بحكمته ورحمته كتابه تبيانا لكل شيء، وجعله هدى وبرهانا لهذه الأمة، أنزله بلسان عربي مبين، وتكفل بحفظه وإبلاغه لجميع البشر، وقد اشتمل على كل نافع، ففيه القصص والعبر والأحكام، وبيان الحلال من الحرام واللغة والأدب، وتنوعت أساليبه ففيه النداء والاستفهام والأمر والإخبار، ومن جملة أساليبه الأمثال، فقد حفل القرآن الكريم بكثير من الأمثال التي تعددت موضوعاتها وتباينت صورها وتنوعت مجالاتها فقد بلغ في القرآن الكريم خمسة وثمانين مثلا صريحا، وقد عد المثل القرآني علما من علوم القرآن ومظهرا من مظاهر البلاغة والإعجاز، ولونا من ألوان الأدب الرفيع وأسلوبا من أساليب الدعوة إلى الإسلام.

لعل أهمية الموضوع تكمن في كون الأمثال القرآنية من الأساليب البلاغية المتميزة، لما بلغته من براعة التصوير ودقة التعبير، ولتناولها لكل ما من شأنه أن ينير للإنسان طريقه في الحياة، ويبدد من أمامه ظلمات الجهل والضلال، فهي وسائل إيضاح لما في القرآن الكريم من أفكار ونورا ميز به الناس الغي من الرشاد، والخبيث من الطيب، فوقفوا بمعونته على حقائق الأشياء وطبائعه.

وبسب ما لموضوع المثل القرآني من أهمية في فهم نصوص شريعتنا والكشف عن ومقاصدها، ارتأينا أن نتّخذ منه موضوعا لبحثنا هذا فجعلنا عنوانه:

أثر الأمثال في دلالات الخطاب القرآني

سورة البقرة أنموذجا

ويعود اختيارنا لهذا الموضوع إلى مجموعة من الأسباب تتمثل فيما يلي:

✓ رغبتنا الشديدة في التعمق والتدبر في الأمثال القرآنية والإحاطة ببعض جوانبها العديدة.

✓ كون هذا الموضوع ذا علاقة بالقرآن الكريم، ولا شك في أن مثله من الموضوعات له أهمية كبيرة، وله من العبر والحكم النافعة ما لا يخفى على أي باحث.

✓ معرفة مدى تأثير الأمثال القرآنية في النفوس البشرية.

وبناء على أهمية الموضوع فقد تبادر إلى أذهاننا أن نطرح الإشكالية الآتية :

– ما هي أبرز الآثار الناتجة عن ضرب الأمثال في سورة البقرة؟ وتنبثق عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الجزئية هي كالآتي :

– ماهو مفهوم الأمثال في القرآن الكريم؟

– ماهي أنواعها وأهميتها في القرآن الكريم؟

– ماهي دلالة الأمثال المصرحة في سورة البقرة؟

وقد شكّلنا هذا البحث من خطة تمثلت في مقدمة وفصلين وخاتمة، كان الفصل الأول بعنوان: **المثل من الخطاب القرآني،** قسّمناه إلى ثلاثة مباحث هي التالية:

المبحث الأول: الخطاب القرآني

أ- لغة

ب- إصطلاحا

ج- في القرآن

المبحث الثاني: المثل، مفهومه، خصائصه الأسلوبية، أنواعه.

1- مفهوم المثل:

أ- لغة

ب- إصطلاحا

ج- في القرآن

المبحث الثالث: بين المثل والحكمة

1- مفهوم الحكمة

أ- لغة

ب- إصطلاحا

2- الفرق بين المثل و الحكمة

أما الفصل الثاني فجعلناه بعنوان: **دراسة دلالية لنماذج من الأمثال في سورة البقرة،** يتشكّل بدوره من ثلاثة مباحث هي التالية:

المبحث الأول: تقديم لسورة البقرة.

- تسميتها
- نزولها
- أقسامها
- مواضيعها
- فضلها

المبحث الثاني: دراسة دلالية للمثل في سورة البقرة.

- دلالة المثل الأول .
- دلالة المثل الثاني .
- دلالة المثل الثالث .
- دلالة المثل الرابع .

- دلالة المثل الخامس .

- دلالة المثل السادس .

- دلالة المثل السابع .

- دلالة المثل الثامن .

- دلالة المثل التاسع.

المبحث الثالث: أثر المثل في دلالة الآية من سورة البقرة

أثر المثل الأول .

- أثر المثل الثاني .

- أثر المثل الثالث .

- أثر المثل الرابع .

- أثر المثل الخامس .

- أثر المثل السادس .

- أثر المثل السابع .

- أثر المثل الثامن .

- أثر المثل التاسع.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج "الوصفي التحليلي"، باعتباره الملائم لمثل موضوعنا هذا.

ولإنجاز هذا البحث استعنا بمجموعة من المراجع من بينها ما يلي:

- أساس البلاغة للزمخشري.

- زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي.

- الأمثال العربية لعبد المجيد قطامش .وكتب التفاسير مثل:

- روح المعاني للألوسي.

- التحرير والتنوير لابن عاشور.

- الكشاف للزمخشري.

- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

- ولا بد لكل باحث من أن تعترضه صعوبات وعراقيل، وفي حالنا نحن تمثلت فيما يلي:

- صعوبة الموضوع لتعلقه بالقرآن الكريم.

- صعوبة التنقل للحصول على المراجع من المكتبات.

- عدم القدرة على الاتصال بالأستاذ المشرف.

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ "شمون أرزقي" الذي أرشدنا وأشرف علينا وهذا لحسن حظنا، نشكره على كل المجهودات والمعلومات التى قدّمها لنا، كما نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث.

الفصل الأول

المثـــل من الخطـــاب القرآني

المبحث الأول: الخطاب القرآني

المبحث الثاني: المثل، مفهومه، أنواعه، خصائصه الأسلوبية، أهميته.

المبحث الثالث: بين المثل والحكمة

1- مفهوم الخطاب القرآني:

- يعد مصطلح الخطاب من المصطلحات التي شاعت في حقل الدراسات اللغوية، ونال اهتماما كبيرا من قبل الدارسين، لذلك وسعوا في تعريفه مع درجات في التفاوت أو التقارب في معناه. إذ هو الكلام الذي يتناوله عامة الناس للتعبير عن أرائهم وأغراضهم في مختلف المجالات.

أ- لغة: ورد لفظ الخطاب في المعاجم اللغوية في عدة مواضيع، نجد منها ما يلي:

- لسان العرب جاء فيه أن مادة (خ ط ب) تعني: "خطب فلان إلى فلان، فخطبه وأخطبه أي أجابه والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا "[1].

- غريب القرآن للأصفهاني يقول فيه:" خطب الخطب والمخاطبة والتخاطب المراجعة في الكلام ومنه الخطبة والخطبة لكن الخطبة تختص بالموعظة والخطبة بطلب المرأة "[2].

- ويذهب الزمخشري الى أن: " الخطاب هو خطب فلان خاطبه أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام وخطب الخطيب خطبة حسنة"[3].

- نستنتج من خلال هذه التعاريف أن معظم المعاجم العربية تتفق حول كون الخطاب الكلام الذي يقصد به الإفهام والإبلاغ، وأنه يتمثل أساسا في مراجعة الكلام، فهو محور مهم في عملية التواصل.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ، مطبعة بولاق، القاهرة،(د،س)، ج1، ص348.

[2]- أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف ب (الراغب الأصفهاني)، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، دط، ج1، ص200.

[3]-ا لزمخشري، أساس البلاغة، تر: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج1، ص255.

ب- اصطلاحا:

لقد انتشر استخدام مصطلح الخطاب كثيرا خاصة مع ظهور الألسنية الحديثة، إذ تنوعت دلالته من باحث لآخر حسب نظرياتهم مناهجهم.

-يشير أحمد الموكل في كتابه قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بأن الخطاب هو: " كل إنتاج لغوي، يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية وظروف المقامية"[1].

نفهم من هذا التعريف أن الخطاب غير محدد لا من حيث الطول، فقد يرد في جملة واحدة أو متتالية من الجمل وهدفه إحداث التواصل بين الأفراد.

- في حين يذهب محمود عكاشة في مفهومه: " كلام موجه إلى متلق بقصد الإقناع والتأثير، أو المشاركة الكلامية بين طرفي الاتصال حوار أو مشافهة أو كتابة لغرض تحقيق مقاصد اتصالية "[2].

أي توجيه الكلام نحو الغير من خلال تبادل رسائل لغوية بمختلف الوسائل لأجل تحقيق التواصل.

- أما هاريس فعرفه بأنه: "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محظ"[3].

ويبدو من هذا القول أن هاريس يحاول تطبيق النظرية التوزيعية على الخطاب، لكونه مجموعة من العناصر المتعلقة بعضها ببعض.

نخلص من هنا أن الخطاب شكل من أشكال التواصل والتفاعل الاجتماعي المباشر وغير

---

[1]. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008، ص484.

[2]- محمود عكاشة، خطاب السلطة الإعلامي، مكتبة دار المعرفة، ط1، 2004، ص36.

[3]- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي - بيروت، ط3، 1997، ص17.

المباشر، عبر الرسائل والوسائط الاتصالية والإعلامية المختلفة والهدف منه إحداث رد فعل من المتلقي حول القضية المطروحة.

ج- الخطاب القرآني:

- إن الخطاب القرآني هو الذي نزل به القرآن الكريم من العزيز الحكيم، له مدلولاته وإشاراته التي لا تنتهي، معصوم من الخطأ والتبديل، كما أنه لا يترجم حرفيا إلى لغات أخرى وإنما تتم ترجمة معانيه ومدلولاته وشرح آياته ومفرداته، فهو موجه لعامة الناس، وورود في القرآن الكريم مرتبط بالعزة، والحكمة، وعظمة الخالق عز وجل. إذ ذكر مصطلح الخطاب القرآني في عدة سور، ومثال على ذلك قوله تعالى:"رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا" [النبأ 37]، بحيث يدل على عظمة الله عز وجل وبيان لمقامه العالي، وأيضا قوله سبحانه:" وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ" [ص 20]، وقد أبدى العلماء اهتمامهم بالخطاب القرآني من أجل إعطاأه مفهوما يليق بمكانته فنجد ما جاء في كتاب أدب الخطاب في القرآن الكريم من أنه:" كلام الله الموجه إلى المكلفين بقصد تفهيمهم ما لهم وما عليهم، مما هو مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم، وهذا يستلزم كونه واضحا لا إجمال ولا اشتباه لا تناقض ولو كان فيه بحسب هذا القصد أصل هذا المقصود الخطاب فلم تقع الفائدة "[1].

والمعنى أن الخطاب القرآني لا يشبهه أي خطاب آخر، لأنه كامل معصوم من الخطأ، جاء رحمة وهداية للعالمين.

- وفي تعريف آخر نجد انه: "أنه كلام الله موجها في معظمه إلى من شهدوا نزول القرآن

[1]- عبد الرحمن سعود ابداح، أدب الخطاب في القرآن الكريم، دروب للنشر والتوزيع، دط، عمان العبد لي 2016، ص15.

بشكل خاص مباشر للرسول صلى الله عليه وسلم، وبشكل عام لسائر الناس"[1].

هذه التعاريف اللغوية كلها تشير إلى أن الخطاب القرآني كلام الله الموجه إلى أمة محمد، ويعتبر من أفضل الخطابات على الإطلاق سواء من حيث البلاغة اللغوية أو الإعجاز اللغوي أو الإبداع في اللفظ والمعنى، والتركيب، إذ يدعو إلى الفضائل السامية، والتشريعات الهادية الموجهة إلى كل خير.

– الأمثال من الثقافات التي لاءمت أذواق الناس وعقولهم، إذ حملت بالتشابيه القوية والوجوه البيانية فيها أوجز المعاني وأكثرها وأحسنها انطباقا على واقع الحياة، ويعد المثل موضوعا جوهريا داخل الحقل الأدبي بحكم المكانة المهمة التي يحتلها في إبراز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان، وذلك كتشبيه الغائب بالحاضر، والمعقول بالمحسوس، إذ تعتبر الأمثال مصابيح الأقوال التى تكسب المعنى روعة وجمالا والتي تساهم في التأثير وجذب إنتباه السامعين، ولهذا أولى العلماء للأمثال عناية سواء من حيث التعريف أو من حيث طريقة الصياغة وحتى في مجالات استخدامه داخل حقل من الحقول المعرفية. إذ تدور لفظة المثل في المعجم العربي حول جملة معان منها:الشبيه، النظير، والصفة والحجة، والعبرة، والقول السائر بين الناس، المشهور بين عامتهم و خاصتهم، يضربونه لتصوير المعنى المراد تصويرا حيا بأوجز عبارة وأبلغها تأثيرا في النفوس. والذي يهمنا من هذه المدلولات هو هذا المدلول الأخير. وقد انبرى الباحثون القدماء و المحدثون بجمع الأمثال

[1]– خالق داد ملك، الخطاب القرآني وأنواعه، دراسة بلاغية، بنجاب لاهور – باكستان، العدد الثاني والعشرون، 2015، ص60.

وأفرد لها بعضهم كتبا برمتها وخصص لها بعضهم الآخر فصولا ويظهر ذلك من خلال تعريفاتهم التي قدموها للمثل.

2- تعريف المثل:

أ- لغة: ما جاء عن المثل أنه كلمة مأخوذة من مادة (م ث ل)، وقد وردت في أغلب المعاجم اللغوية العربية متضمنة عدة مفاهيم بالرغم من تقارب ألفاظها.

- فقد ورد في لسان العرب لابن منظور: " المثل بالفتحتين وجمعه الأمثال، والمثل في الأصل اللغوي يعني الشبه فهو تشبيه شيء بشيء آخر، لوجود عنصر تشابه أو تماثل بينهما، أو لوجود أكثر من عنصر تشابه"[1]، ولكن لفظ المثل أوسع من لفظ التشبيه .

- في مقاييس اللغة لابن فارس ورد ما يلي: " الميم والتاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره والمثل والمثال في معنى واحد "[2].

-أما في الكشاف للزمخشري فقد جاء: " أن المثل(بالفتح) في أصل كلام العرب بمعنى المثل (بالكسر) وهو النظير، يقال مثل ومثل ومثيل، كشبه و شبه وشبيه، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل "[3].

هذه التعاريف اللغوية كلها مضامين تشير إلى اتفاق المعاجم العربية على أن مادة

---

[1]- إبن منظور، لسان العرب مادة: (م ث ل).

[2]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 - 1979، ج 5، ص 296 -297.

[3]- الزمخشري أبو القاسم جارالله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التأويل وغوامص التنزيل، تح: الشيخ عبد الموجود، مكتبة العبيكان، ط1، 1418- 1998، ج1، ص 191.

(مثل) تتضمن معنى "التشبيه" و"المماثلة" و" المناظرة" و"المشابهة" بين شيئين وبذلك يصبح المثل سائرا ثابتا ومتداولا.

ب- اصطلاحا:

اعتنى العلماء بتعريف المثل عنايه كبيرة ولكنهم اختلفوا في تعريفه وكان ذلك حسب تخصصهم.

-لقد عرف ابن السكيت المثل بأنه :" لفظ يخالف المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثال الذي يعمل على غيره"[1].

- كما عرفه المبرد المثل بأنه :"قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول" [2]، ويقول الزمخشري في ذلك:" قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسير ولا جديرا بالتداول إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه"[3].

وقد ذهب الرازي إلى:" أن المثل هو القول الممثل مضربه بمورده وشرطه أن يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه"[4]، بمعني أن المورد والغرابة والسيرورة هي الدعائم التي بنى عليها الأدباء المعنى الاصطلاحي للمثل .

- أما البلاغيون نجد أبا حيان الأندلسي قد عرف المثل بقوله:" ذكر وصف محسوس وغير

[1]- كمال الخلايلي، معجم كنوز الأمثال والحكم العربية، مكتبة لبنان، ط1، 1998، ص3.

[2]- المصدر نفسه، ص3.

[3]- الزمخشري، تفسير الكشاف، تعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط3، 2009، ص51.

[4]- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الطباعة القاهرة، دط، 1308، ج1، ص293.

محسوس يستدل به على وصف مشابه له من بعض الوجوه فيه نوع من الخفاء وليصير في الذهن مساويا للأول في الظهور من وجه دون وجه "[1].

أي: أن المراد من التمثيل هو إزالة الغموض عن الأمور العقلية وتشبيهها بالمحسوسات الجلية حتى تبدو في صورة مبسطة قريبة من الفهم .

– يرى الجرجاني: "أن المثل يعني التشبيه التمثيلي، وهو نوعان: بسيط ومركب، أما التشبيه البسيط فهو تشبيه مفرد بمفرد كقوله تعالى: "مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ " [هود 24]، وأما التشبيه المركب فهو يعتمد على أمور عدة يجمع بعضها إلى بعض ثم يستخرج من مجموعها الشبه" [2]، ومثال قوله تعالى:"مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا " [الجمعة 5].

أي أن المثل هو تشبيه صورة بصورة أخرى، قد يكون بسيطا لأن المشبه يشابه المشبه به بوجه من الوجوه، وقد يكون مركبا يراد به الصورة المكونة من عدد من العناصر المترابطة والمتماسكة.

– فإذا ماتحدثنا عن المحدثين الذين اهتموا بدراسة المثل نجدهم لا يكادون يختلفون عن القدماء في مفهومه.

إذ يرى أحمد امين أن المثل تجربة:"الشعب في حياتهم اليومية إذ قال: المثل لا يستدعي

---

[1]– أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت –لبنان، دط، دس، ج1، ص122.

[2]– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: الشيخ أحمد مصطفى المراغي، محمود محمد شاكر، مطبعة الإستقامة، 1960، ص 80 – 81.

إحاطة بالعالم وشؤونه، ولا يتطلب خيالا واسعا ولا بحثا عميقا، إنما يتطلب تجربة محلية في شأن من شؤون الحياة"[1].

– أو هو جملة وجيزة ذات مفهوم عميق، تدل على نتيجة إثر تجربة واقعية، والمثل موجود عند كل شعوب العالم، وهو المرآة الصافية لحياتها وعاداتها وتقاليدها وسلوك أفرادها[2].

– وجاء أيضا أن المثل :" هو ذلك الفن من الكلام الذي يتميز بخصائص ومقومات تجعله جنسا من الأجناس الأدبية قائما بذاته، وقسيما للشعر والخطابة والقصة..."[3] .

ويعني أن الأمثال كلمة قصيرة اكتسبت صفة الشيوع والشهرة بين الناس، تنبع من أفراد الشعب نفسه، ومن واقعهم المعايش وخبراتهم في الحياة .

من هذه التعريفات تتضح أن المثل فن قائم بذاته، وله خصائص ومقومات ومن شروط أن يكون له مورد ومضرب ويكون سائرا وفيه غرابة، فهو يضرب في حالات مشابهة لمورده الأصلي، كما يظل مثلا يضرب وإن جهل أصله، ولا يغير لفظه في أي حالة من حالات إستعماله.

ج– مفهوم المثل القرآني:

–من الجوانب التي تفيض بالحكمة والإعجاز في القرآن الكريم جانب الأمثال، فقد صرف الله

[1]– أحمد أمين، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط2، دس، ج1، ص74.

[2]– محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1413–1993، ج2، ص 457.

[3]– عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق– سوريا، ط1، 1988، ص11.

تعالى في كتابه من كل مثل، وضرب للناس من أمثالهم، وهذه الأمثال تقرب المجرد وتصوره محسوسا ماديا، وتصوغ خبرات من المشاهد اليومية من حياتنا العملية، فيها العلم ومكارم الأخلاق، وقضايا الدين والدنيا، فكان ذلك لونا من ألوان الدعوة ووجها من وجوه البيان للكشف عن المعاني المرادة، وقد دل تعالى على ضربه للأمثال في عدة آيات كقوله سبحانه: "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ" [العنكبوت43]، إذ لا يتدبرها ولا يفهم بلاغتها إلا من كان له عقل فطن ذكي، ولهذا كان السلف الصالح إذا قرأوا مثلا ولم يفهموه بكوا على أنفسهم وقالوا بأنهم ليسوا من العالمين.

للمثل في القرآن الكريم ميزة خاصة تفوق محتويات علم اللغة والأدب والمعاني لتحديد المثل وحصره "إذ لا يستقيم حملها على أصله المعنى اللغوي الذي هو الشبيه والنظير، ولايستقيم حملها على ما يذكر في كتب اللغة لدي من ألَفوا في الأمثال، إذ ليست أمثال القرآن الكريم أقوالا استعملت على مضربها بموردها"[1].

أي ان المثل القرآني لا يشترط أن يكون له مورد مما ألفه الناس في بعض القصص القديمة أو الوقائع أو المواقف التي كانت سببا أو أصلا لورود المثل.

وقد عرفها ابن القيم بقوله: "هي تشبيه شيء بشيء في حكمة، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر، ونجد أكثر هذه الأمثلة على طريقة التشبيه الصريح[2]، كقوله تعالى:"إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ" [يونس 24]،

ونلتقي بتعريف آخر للعلامة أبي سعود يقول فيه:".... هو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات وإبراز لها في معرض المحسوسات الجلية، وإبداء المنكر في صورة المعروف وإظهار الوحشي في هيئة المألوف"[3] .

---

[1]– مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، دط، ص276.

[2]– المرجع نفسه، ص276.

[3]– سميرة عدلي محمد رزق، وجوه البيان في أمثال القرآن، جامعة أم القرى، مكة، ص8.

نفهم من هذين القولين أن الأمثال القرآنية تقرب ما يصعب على العقل فهمه إذ تجلي الغامض وتمحو الإبهام عن المعاني حتى تصبح سهلة وقريبة من الفهم وتزيد المعنى وقارا وجمالا .

وقيل أيضا إنها:" نظم من التنزيل يعرض نمطا واضحاً معروفاً من الكائنات أو الحوادث الكونية أو التاريخية عرضاً لافتاً للأنظار، ليشبه أو يقارن به سلوكا بشريا، أو فكرة مجردة، أو أي معنى من المعاني، بقصد التوضيح أو الإقناع أو البرهان أو التأثير، أو التنفير منه أو بقصد بيان الفارق بين أمرين متناقضين للأخذ بأحدهما والابتعاد عن الآخر...."[1].

و في مفهوم آخر:" الأمثال القرآنية هي تمثيل حال أمر بحال أمر آخر، سواء ورد هذا التمثيل بطريقة الاستعارة، أم بطريقة التشبيه، أم بطريقة الكناية....ولا يشترط أن يكون فيها غرابة، ولكنه يرد للعبرة والاتعاظ"[2]، أي أن المثل قد يرد على صور متعددة ومختلفة إلا أن غايته واحدة وهي الوعظ والإرشاد.

كذلك ورد على أنه: "أسلوب بياني يجمع في طياته نماذج من الواقع المشاهد، لتكون أقيسة عامة للحقائق المجردة، أو الأمور التي لا تقع تحت الحس والإدراك في الدنيا، والتي يترتب عليها أحكام شمولية، ويبني عليها صلاح أمر الناس في الدنيا والآخرة [3]".هذا يعني أن المثل القرآني يستنبط من الصور التي ألفها الإنسان واعتاد على رؤيتها في حياته اليومية، وبهذا يسهل عليه فهم المثل والقصد منه.

من هذه التعريفات السابقة نستخلص أن للأمثال القرآنية دورًا بارزًا في الإقناع، وسرعة

[1]– عثمان عبد المنعم عبد العزيز، فوائد ضرب الأمثال في القرآن الكريم، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد30، جامعة بغداد، 2012، ص14.

[2]– محمد بكر اسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط2، 1999، ص299.

[3]– المرجع نفسه، ص 230.

التفهيم، وإزالة الإشكال، فهي جاءت لتقرب إلى أذهاننا ما غيّب عنّا وما هو محجوب عنا، لإدراك الأمور المكنونة التي لا تدرك إلا عن طريق المثل.

2-أنواع الأمثال القرآنية:

لقد ذكر السيوطي ثلاثة أنواع من الأمثال القرآنية [1]، وهي التالية:

النوع الأول:الأمثال المصرحة:

وهي ما صرح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه، وهي كثيرة في القرآن الكريم. نحو قوله تعالى: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ " [البقرة17].

إن الأمثال المصرحة أو الظاهرة هي أمثال قياسية يقاس فيها النظير على نظيره، وتعد وصفا سرديا أو قصصيا، لتوضيح الفكرة عن طريق التشبيه التمثيلي[2].

إذ هي أمثال قال عنها الله تعالى: "وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا " [الكهف 54].

والله هو وجل ينبه أنها براهين وحجج تفيد تصورا وتصديقا، وقال سبحانه أيضا:" وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا" [الفرقان33]، أي إن التفكير يعم التصوير، ويعم الحق بالدليل.

النوع الثاني: الأمثال الكامنة:

وهي التي لم يصرح فيها بلفظ المثل، ولكنها تدل على معانٍ رائعة في إيجاز المعنى، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، على أنها تذكر لمعانيها لا بألفاظها، ويمثلون لهذا النوع

---

[1]- جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط1، 2008، ص271.

[2]- صابر حسن محمد أبو سليمان، غاية البيان في أمثال القرآن، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 2001، ص10، 11.

بأمثلة قوله تعالى:

- " لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ" [البقرة 68].
- " وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا" [الفرقان67].
- " وَلَا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا " [الإسراء 110].

النوع الثالث: الأمثال المرسلة:

وهي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه، وقد اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن الكريم وشيوعها بين المسلمين، ولم تكن أمثالا في وقت نزولها، وهي في جملتها مبادئ خلقية ودينية موجزة مركزة، وهذا النوع من قبيل التشبيهات الضمنية التي تؤكد المعاني وتبرزها إبرازا يجعلها متميزة في النفس أكمل تمييز، أو هي من قبل الكنايات التي تأتي بالمعنى مصحوبا بدليله، فتجرى مجرى الحكم.

وهذا النوع أمثلته كثيرة في القرآن الكريم جدا نذكر منها:

قوله تعالى :

- "الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ " [يوسف51]، أي تبين الحق .
- "لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ " [النجم 58]، أي ليس لها من دون الله من يؤخرها أو يقدمها.
- "قضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ" [يوسف41].
- "أَلَيْسَ الصُّبْح بِقَرِيبٍ" [هود81].
- "لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ " [الأنعام67].

- بخلاف تقسيم السيوطي، هناك من أضاف نوعين، من الأمثال لتصبح بذلك خمسة، والنوعان المضافان هما كمايلي:

- الأمثال القصصية **(النوع الرابع):**

هي الأمثال التي صيغت في قوالب المضمون القصصي، فتميزت بالإسهاب في العرض،

ونقل الأحداث الغابرة في سياج من الحقيقة الراسخة بعيدا عن الإغراق في الخيال، أو المبالغة في الوصف فجاءت بالوقائع على طبيعتها، واشتملت على صور شتى للحوار الشخصي من غير أن تكون شخصيات المتحاورين مقصودة لذاتها، وإنما حددت العواقب والنتائج التي ترتبت على الوقائع، وتنوعت أساليبها بين الخبر والإنشاء وتضمنت أغراضا ومقاصد عالية[1].

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى في مثل قصة القرية الجاحدة لنعم الله: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" [النحل112].

وقصة الجنتين في قوله تعالى: "وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا" [الكهف32].

وقصة أصحاب القرية في قوله تعالى:"وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ "[يس13– 30]، والمعنى: اجعل أصحاب القرية والمرسلين إليهم شبها لأهل مكة وإرسالك إليهم.

الأمثال القياسية: **(النوع الخامس):**

المراد بالأمثال القياسية هو ما صرح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه. وهو سرد وصفي أو قصصي أو صورة بيانية، لتوضيح فكرة معينة عن طريق التشبيه والتمثيل، ويسميه البلاغيون: التمثيل المركب أو التشبيه المتعدد.

_وقد اختلف العلماء والدارسون قديما وحديثا حول عدد الأمثال القياسية في القرآن الكريم، اختلافا يتراوح بين خمسة وعشرين مثلا، ومنهم إبن قيم الجوزية الذي أحصى من الأمثال

[1]– عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الأدب السامية الأخرى، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1989، ط1، ص136.

المصرحة في القرآن الكريم ثلاثة وأربعين مثلا[1].

-وقد يرجع السبب في هذا الإختلاف إلى أحد الأمرين التاليين[2]:

أ- أن بعض العلماء قد عد كل آية ورد فيها لفظ مثل من الأمثال القياسية، ولأن هذا اللفظ قد يستعمل في التشبيه المفرد البسيط، كقوله تعالى: "وَحُورٌ عِينٌ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ" [الواقعة 22- 23]، كما يأتي لمعان أخرى غير التشبيه كالصفة أو الحال، كقوله تعالى:" أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم "[البقرة214].

ب- أن هناك آيات تعد من الأمثال القياسية، وإن لم يرد فيها ذكر لفظ(مثل)صراحة، كقوله تعالى:" لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ[الرعد14] .

من خلال هذا يبدو أن القياس من أبرز الخصائص القرآنية، فهو تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول من المحسوس لغرض التهذيب والتوضيح والتصوير إذ يجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير.

نلاحظ من أنواع الأمثال، أن الله تعالى ضرب الأمثال بطرق وأساليب عديدة، وكأنه يقول للناس عرضت لكم الحق و بينته، ورددت الباطل وقربت لكم طريق الهداية.

3- سمات المثل:

للمثل قيمة فكرية كبيرة، في حياة العرب تنشد له الأسماع وتوليه إصغائها مقرة بأنه مستلهم من لسان صدق عميق فكر وصواب رأي.

وقد اكتسب قيمته هذه من خلال امتلاكه عددا من السمات، وأهمها مايلي:

[1]- إبن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تح: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة بيروت، 1983، ص75.

[2]- عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، دراسة تاريخية تحليلية، ص138.

1-الإيجاز:

يعتبر من أهم سمات الأمثال وأخص خصائصها، وبه تمتاز على ما عداها من فنون الأدب، يقول البكري: "والأمثال مبنية على الإيجاز والاختصار والحذف والاقتصار"، وقال أيضا: "والأمثال موضع إيجاز واختصار، وقد ورد فيها من الحذف والتوسع ما لم يجيء فى أشعارهم"[1].

ويقصد البكري هنا أن المثل عبارة قصيرة لا تتجاوز بضع كلمات وهذا هو السبب في سهولة حفظه وإرساله، كما أنه ركن أساسي من أركان البلاغة عند العرب.

ومن نظر الزمخشري هنا أن الإيجاز يعمل على إشباع المعنى فيقول: "أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى، وقصرت العبارة فأطَلْتَ المغزى، ولوحت فأغرقت في التصريح وكنت موجزًا فأغنيت عن الإيضاح"[2]، يقصد الزمخشري هنا بأن الإيجاز يقوم بإشباع المعنى.

وفي موضع آخر أشار القَلقَشَندي إلى سمة الإيجاز بحيث قال: "أما الأمثال الواردة نثرا فإنها كلمات مختصرة تُورَد للدلالة على أمور كلية مبسوطة، وليس في كلامهم أوجز منها، ولما كانت الأمثال كالرموز والإشارة التي يلوح بها على المعانى تلويحا صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصارا"[3].

أي أن الأمثال ترد مختصرة وأنها يمكن أن تأتي في قوالب متنوعة تحمل معاني مختلفة لتدل على أمور مبسوطة، ومن هنا يتبين أن الإيجاز سمة أصيلة ومهمة في الأمثال.

---

[1]- المفضل بن سلمة الضبي، الفاخر في الأمثال، تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1 ،2011، ص 10.

[2]- الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ط2، 1987، ج1، ص3.

[3]القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى، دار الكتب المصرية بالقاهرة 1345-1922، مج1، ص 295

2- إصابة المعنى:

تُعدُّ الأمثال من الأشكال الأدبية التى تعبر عن الواقع بشكل يقترب من الصدق، لأنها تعد نتاج فكر وأحداث وتجارب للحياة اليومية، وهذا يعني أنها تصيب المعنى المقصود مع الاختصار[1].

3- حسن التشبيه:

من سمات المثل التشبيه، بل إن المادة (م ث ل) تدل على المشابهة [2]، ومن ثم جعل بعض العلماء التشبيه سمة أساسية في المثل، وإذا كان التشبيه بجميع صوره وأشكاله من أساليب البيان المتَّفَقِ علَى بلاغتِها، فإنه في الأمثال يبلغ قمَّةَ البلاغة، ويَحتلُّ ذروتها ذلك أن مضارب الأمثال تكون عادة من المعاني المعقولة التى قد يصعب تصورها وفهم حقيقتها، ومن ثم يلجأ الناس إلى ضرب الأمثال لها بأمور حسية، وأحداث واقعية[3].

أي يستخدمون صورًا حسية منتزعة من واقعهم، فيشبهون بها تلك المعاني المعقولة ويخرجونها بهذا التشبيه من الخفاء والإبهام إلى الوضوح والجلاء.

يقول قدامة: "وأما التشبيه فهو من أشرف كلام العرب، وبه تكون الفطنة والبراعة عندهم "[4].

ويقصد قدامة هنا أن التشبيه فن راقٍ يجري على ألسنة العرب ويعبر عن موهبتهم وتمكنهم من اللغة.

4- الكناية والتعريض:

يتسم أسلوب المثل بجودة الكناية والتعريض، لأن المتمثل به لايصرح بالمعنى الذي يريده

---

[1]- علاء اسماعيل الحمزاوي، الأمثال العربية والأمثال العامية، مقارنة دلالية، جامعة الميناء، دط، دس، ص12.

[2]- الزبيدي، تاج العروس، دار الهداية، ج30، ص379.

[3]- ينظر، علاء إسماعيل الحمزاوي، الأمثال العربية والأمثال العامية، مقارنة دلالية، ص11-13.

[4]ابن عبد ربه، الجوهرة في الأمثال، تح: عبد المجيد الرصيني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1404-1983، ج3، ص3.

وهو مضرب المثل ولايعبر عنه بالألفاظ الموضوعة له في اللغة، إنما يعبر عن ألفاظ أخرى غامضة المعنى، فهي التى تسمى بألفاظ المثل. ومعنى الكناية يقول ابن منظور: "الكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره....." ويقول في موضع آخر: "والتعريض خلاف التصريح والمعاريض التورية بالشيء عن الشيء، والتعريض قد يكون مضرب الأمثال وذكر الألغاز في جمل المقال[1].

والمقصود من هذا القول أن ترد ألفاظ لايقصد منه المعنى الحقيقي وإنما معنى ملازما للمعنى الحقيقي.

5- الذيوع والانتشار:

لعل السمات التي يتسم بها المثل من الإيجاز والوضوح وإصابة المعنى وغيرها أضفت عليه صفة الذيوع والسيرورة، وقد لفت هذا أذهان العرب، فشبهوا بالمثل كل شيء يشيع وينتشر فقالوا: (أسير من مثل)[2].

6- الثبات:

من سمات المثل الثبات في التركيب والدلالة، إذ يقال كما ورد، لأن القاعدة في الأمثال أنها لا تتغير، بل تجري كما جاءت، وقد جاء الكلام بالمثل وأخذ به وإن كان ملحونا، لأن العرب تجري الأمثال على ما جاءت عليه وقد تخرج عن القياس، فتخرج عن طريقة الأمثال، لأن من شرط المثل ألا يغير عما يقع في الأصل عليه[3] .

فمن حق المثل أن تحمى صيغته وألفاظه من التغيير، وأن يبقي على ما جاء عليه مهما اختلفت المضارب والأحوال، لأن المساس به يخل بمدلوله، ويخرجه من باب الاستعارة وجودة الكناية من ناحية، ومن ناحية أخرى تفقد الأمثال كثيرا من قيمتها الأدبية واللغوية، إذا

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص183.

[2]- علاء إسماعيل الحمزاوي، الأمثال العربية والعامية، ص14-15.

[3]- ينظر، السيوطي عبد الرحمن جلال، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418- 1998، ج1، ص375-376.

تعرضت للتغيير.....ذلك لأنه لا تغير صورته مهما كان مخالفا لقواعد اللغة، حفاظا على سمة الثبات" [1].

خلاصة القولين أنه لابد من الحفاظ على الأمثال بصيغتها الأصلية كما وردت وعدم تبديل ألفاظها لئلا يتغير معناها ويضيع.

ومن خلال ما ذكرناه فإن هذه السمات من أبرز السمات الفنية والجمالية للأمثال، ولا يمكن الاستغناء عنها في دائرة علم البيان، وهو ما ذهب إليه ابراهيم النظام: يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، ايجاز اللفظ، إصابة المعنى، حسن التشبيه وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة، وإذ يكمن سر هذه السمات في أنها ترسم علاقة المشابهة والمماثلة بين ما هو عقلي وما هو حسي

4-أهمية الأمثال في القرآن الكريم:

– للأمثال في القرآن الكريم أهمية بالغة، ولقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن نعتبر بها ونتعظ بها، حيث أخرج البهيقي عن أبي هريرة أنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن القرآن نزل على خمسة: حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، والمثال، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال). ولهذا نجد القرآن الكريم تطرق لأهميتها فلا يمكن لأي باحث أن يتجاهل قيمة الأمثال القرآنية، وذلك لشرف مكانتها وسمو منزلتها، إذ لولا عظم شأنها لما تضمنها فضلا عن إكثاره منها والتنبيه عليها.

– ولذلك نجد العلماء أفاضوا في ذكر أهميتها ومنهم التالية أسماؤهم :

الإمام الزركشي حيث يقول: "وضرب الأمثال يستفاد منه أمور كثيرة، التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس، وتأتي الأمثال القرآنية مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب، وعلى

[1]– علاء إسماعيل الحمزاوي، الأمثال العربية والعامية، ص15–16.

تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله"[1].

وقال الماوردي موضحا أهمية الأمثال في القرآن الكريم: "وللأمثال من الكلام موقع في الأسماع وتأثير في القلوب لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ويؤثر تأثيرها، لأن المعاني بها لائحة والشواهد بها واثقة والعقول لها موافقة"[2].

وتحدث الجرجاني عن تفضيل العقلاء لها وأفاض في حديثه عن تأثيرها في النفوس، سواء كان ذلك مدحا أو ذما، فخرا أو اعتذارا فقال: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذ جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، وكسبها منقبة ورفع من أقدارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، دعا القلوب إليها، واستشار لها من أقاصي البلاد الأفئدة صبابة، وكلفا، وفسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا"[3].

كما أشار الزمخشري إلى جوانب الأمثال في قوله: "فلضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأنا ظاهرا، في إبراز غيبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تظهر المتخيل في سورة المحتقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، ولأمر ما أكثره الله في كتابه العزيز وفق سائر كتبه في الأمثال"[4].

وأشار الرازي إلى أن المقصود من ضرب الأمثال أنها: "تؤثر في القلوب مالا يؤثر وصف الشيء، ويعلل ذلك بقوله: "إن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالمشاهد"[5].

وذكر ابن القيم أن:"في الأمثال ما تأنس به النفس، وسرعة قبولها وانقيادها، لما ضرب لها مثله من الحقِّ أمر لا يجحده أحد، ولا ينكره، وكلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهوراً

---

[1]- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دط، دس، ج1، ص487.

[2]- أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، تعليق: محمد كريم راجح، دار إقرأ، لبنان، ط4، 1405-1985، ص294.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص115.

[4]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص116.

[5]- الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص76.

ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى وهي خاصية العقل ولب ثمرته"[1].

-الأمثال مرآه النفس، فإذا ضربت لها الأمثال صار ذلك الأمر لها بذلك كالرؤية، كالذي ينظر في المرآة فيبصر فيها وجهه ويبصر بها من خلفه[2].

ويقول الآلوسي:" فلضرب المثل شأن لا يخفي ونور لا يطفى يرفع الأستار عن وجوه الحقائق ويميط اللثام عن محيا الدقائق ويبرز المتخيل في معرض اليقين ويجعل الغائب كأنه مشاهد"[3] .

كما نجد القرآن الكريم يبين أهمية الأمثال، وأن الأمثال لايفقهها ولا يفهمها إلا العالمون [4]، كما في قوله تعالى: "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) [العنكبوت43]، أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون.

بالإضافة إلى أهمية الأمثال البيانية، فإن هناك أموراً أخرى شرعية تستفاد من ضرب الأمثال في القرآن الكريم، وقد جعل الزركشي معرفة الأمثال مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن:" ثم معرفة ما ضرب فيها من الأمثال الدوال على طاعته المبنية لاجتناب معصيته وترك الغفلة عن الحفظ والازدياد من نوافل الفضل"[5].

إذا تأملنا أقوال العلماء التي ذكرناها نجد أن جلها تصب في معنى واحد ألا وهو تقريب المعقول من المحسوس، وأنها خير باعث على التذكير والتفكير والاعتبار.

---

[1]- إبن القيم الجوزية، إعلام الموقعين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت-لبنان، دط، 1407-1987، ج1، ص291.

[2]- الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، علق عليها السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت،لبنان، ط1، 2003، ص6-7.

[3]- الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت، ج1, ص 207-209.

[4]- محمد جابر الفياض، الأمثال في القرآن الكريم، دط، دس، ص263.

[5]- محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة عن أصل بخط الربيع السليمان، بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان، دط، دس، ص41.

مما سبق نستنتج أن أهمية الأمثال القرآنية تتجلى في ما تمتلكه من قدرة مؤثرة في النفس البشرية، وانفعالها من خلال البراعة في التصوير، والقدرة على التشخيص، وقوه الحركة، فهي من أكثر التعابير شيوعا على ألسنة الناس، واعمها توضيحا للمعاني، لأنها تمتاز بالإيجاز وإصابة المعنى.

3- مفهوم الحكمة:

-الحكمة من المفاهيم التي احتلت مكانة بارزة في تاريخ الإنسان عبر العصور كافة، لارتباطها بالسمو الروحي والعقلي لهذا الكائن في بحثه عن الفضيلة والكمال، فالحكمة خلاصة نظر معمق إلى الحياة، إذ تصدر عن أصحاب التجارب لتبقى سائرة تترسخ في الأذهان يتوارثها الأجيال على مر الزمان. فهي تعمل على توجيه السلوك الإنساني وتحدد القيم والمبادئ التي ترضاها الجماعة، وتنص على ما ينبغي أن يكون من قول أو فعل، ولعل استخدامها بشكل متكرر في القرآن الكريم وكثرة التأليف فيها يدل على المنزلة الرفيعة التي تحظى بها في الساحة الأدبية.

أ- لغة:

ترددت" الحكمة " كثيرا على ألسنة العرب منذ زمن بعيد، باعتبارها مرآة عاكسة لطبيعتهم وخلاصات خبراتهم، وهي مفتاح أساسي في فهم ثقافتهم وتفسير واقعهم الاجتماعي. وإذا حاولنا التأصيل لمفهوم " الحكمة" فإننا سنعود إلى ما أنتجه التراث العربي من خلال تتبع معانيها في المعاجم اللغوية والتى معظمها مشتقة من المادة الثلاثية (ح ك م).

- يقول ابن منظور: "الحكم: العلم والفقه والقضاء بالعدل وهو مصدر حكم يحكم، فالحكمة: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم"[1].

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص32.

– جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها، يقال حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفيه وأحكمته إذ أخذت على يديه، والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل" [1].

–وقيل"الحكم" بالضم، القضاء، أحكام وقد حكم عليه بالأمر حكما وحكومة، وحاكمة إلى الحاكم: دعاه وخاصمه وحكمه في الأمر تحكيما، والحكمة بالكسر: العدل والعلم والنبوة والقرآن والإنجيل"[2].

– أما في تاج العروس فجاءت على النحو التالي:" الحكم بالضم مصدر حكم: بمعنى قضى وفصل. الحكمة: العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها، والحكمة إصابة الحق بالعلم والعمل ومنه قولهم: الرجل إذا كان حكيما قد أحكمته التجارب، فاستحكم صار حكيما "[3].

انطلاقا من هذه التعريفات يتضح لنا أن أغلب معاني الحكمة متضمنة تحت جذر "حكم" الذي يعني المنع أو الحكم العادل في القضاء، إذ هي كل ما يهدي إلى الخير في العقيدة والسلوك، فهي التجربة الذاتيّة المكتسبة مِن فعلٍ أو رأي.

ب– اصطلاحا:

–اتخذت الحكمة مدلولات شتى بحسب استعمالاتها من قبل المفكرين فكل واحد مقصد مختلف من هذا اللفظ وقد تتشابه تلك المقاصد مع بعضها البعض أو تختلف.

---

[1]– ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ص91.

[2]– الفيروزابادي مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق تراث في مؤسسة الرسالة، دار الرسالة، ط8، بيروت– لبنان، 2005، ص1095.

[3]– الزبيدي محمد مرتضى الحسيمي، تاج العروس، تح: عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكويت، ط2، دس، ج8، ص253.

يقول الجرجاني:" الحكمة علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقه البشرية فهي علم نظري غير آلي، وهي هيئة القوة العقلية العلمية المتوسطة بين الجزبرة التي هي أفراد هذه القوة والبلادة التي هي تفريطها "[1]، فالحكمة من هنا تعني الموازنة بين الأمور فلا يعطى لها أكثر من حجمها ولا ينقص من قيمتها.

وفي تعريف آخر إن الحكمة هي العبارة التجريدية التي تصيب المعنى الصحيح، وتعبر عن تجربة من تجارب الحياة أو خبرة من خبراتها، ويكون هدفها عادة الموعظة"[2]، أو هي: عصارة خبرة في الحياة وخلاصة فهم لأسرارها، يدبجها ذهن ذكي فطن في جملة مرصوصة رصا محكما تستخدم في المناسبات"[3].

– يمكن أن نلمس من هذين القولين أن الحكمة لا تأتي من عدم، وإنما تستخلص من الأحداث والظروف التي تصادف الفرد في حياته ويأخذ منها العبرة، فيحسن التصرف واختيار القرار المناسب في المواقف الأخرى التي يواجهها، وكما أنها لا تصدر عن أي كان وإنما يتميز بها أهل العلم والمعرفة.

ولكون الحكمة مذكورة في كثير من المواضع في القرآن الكريم، نجد العديد من العلماء اهتموا بتعريفها ومنها:

قول الإمام النووي: "الحكمة عبارة عن العمل المتصف بالإحكام المشتمل على المعرفة بالله تعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل"[4].

ويضيف الإمام مالك:"وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هي الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله

---

[1]– الجرجاني علي بن محمد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دس، ص81.

[2]– عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، دراسة تاريخية تحليلية، ص18.

[3]– ايميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، دط، دس، ج3، ص89.

[4]– الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمد حجي، دار الثقافة، دار البيضاء – المغرب، ط1، 1981، ج1، ص26.

في القلوب من رحمته وفضله"[1]، ويعني بهذا أن الإنسان الذي يحبه الله عزوجل فقط من سيرزقة بالحكمة، فهي نعمة لا يتمتع بها إلا القليل.

ولعل أحسن ما قيل في الحكمة هو قول مجاهد ومالك: من "أنها معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن والفقه في شرائع الإسلام، وحقائق الإيمان"[2].

من هذه المفاهيم نلاحظ أن الحكمة لدى المفسرين، تكون بناء على فهمهم لنصوص القرآن الكريم، والانضباط فيها، فهي مرتبطة بالدين ووعي مفاهيمه.

في الأخير نخلص إلى أن مفردة "الحكمة" كثرت فيها الأقاويل والمفاهيم، واختلفت صياغتها من باحث لآخر بحسب ما يخدم تخصصاتهم، ولكن رغم تباين الألفاظ المستعملة للتعبير عن معانيها إلا أنها تتوافق في المضمون والدلالة وتتمثل عموما في الإصابة في القول والعمل.

ج- الفرق بين المثل والحكمة:

-لقد اختلط مفهوم الحكمة بالمثل عند كثير من الباحثين قديما وحديثا. وهذان المفهومان كانا يرتبطان بتهذيب النفس البشرية، ورغم أن المثل مشابه للحكمة في بعض الأوجه كطريقة الصياغة والسرد، إلا أن هناك فروقا جوهرية لا يمكننا التغاضي عنها، وتتمثل في ما يلي:

أ- الشيوع: فالحكمة لا تسير سير المثل ولا تشيع شيوعه، وإلا أصبحت مثلا، فليس كل حكمة مثلا ولكن كل حكمة شائعة مثلا، يقول أبو هلال العسكري:" ثم جعل كل حكمة سائرة

[1]- صباح طه السامرائي، الحكمة عند الأصوليين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، 2007، ص48.

[2]- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ط1، دس، ج2، ص498.

مثلا، وقد يأتي القائل بما يحسن أن يتمثل به، إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلا"[1].

بمعنى أنه جعل من الذيوع والانتشار الميزة الوحيدة التي تفرق بين المثل والحكمة.

ب- أن المثل أساسه التشبيه، أي شبيه مضربه بمورده، وأما الحكمة فعمادها إصابة المعنى ولا يراعى التشبيه فيها إلا حين تصبح مثلا، وهذا الفرق يمكن أن نستخلصه من معنى كل من المثل والحكمة، لغويا واصطلاحيا[2].

ج- أن المثل يصدر عن جميع الناس، بمختلف طبقاتهم الفكرية والإجتماعية، أما الحكمة فلا تصدر إلا عن حكيم أو فيلسوف[3].

د- صدق النظر وصواب المضمون، فالحكمة وليدة تجربة وعقل مبتكر، وهي تصدق غالبا، في كل زمان ومكان، أما المثل فلا يتضمن فكرة ثابتة أو رأيا سديدا وإذا كانت كل حكمة شائعة مثلا، فليس كل مثل حكمة شائعة[4].

هـ- في المثل عمق خاص لا تدركه الحكمة، مع أن كليهما من جوامع الكلم، إلا أن الحكمة تفيد معنى واحدا، بينما يفيد المثل معنين: ظاهرا وباطنا، أما الظاهر فهو ما يحمله من إشارة تاريخية إلى حادث معين كان سبب ظهوره، وأما الباطن فهو ما يفيد معناه من حكمة وتشبيه وتصوير[5].

و- أن الهدف من المثل الإحتجاج، ومن الحكمة التنبيه والإعلام والوعظ[6].

---

[1]- أحمد علي سعيد محمد، الأمثال في القرآن الكريم، دراسة دلالية إحصائية، جامعة السودان، 2016، ص5.

[2]- عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، المرجع السابق، ص18.

[3]- المرجع نفسه ،ص18.

[4]- أحمد علي سعيد محمد، الأمثال في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص5.

[5]- محمد توفيق ابو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي: دراسة تحليلية، دار النفائس، بيروت- لبنان، ط1، 1988، ص48.

[6]- ايميل يعقوب، موسوعة علوم اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دس، ج3، ص90.

ي- أسلوب المثل موجز، أما الحكمة فقد تكون موجزة، وقد لا تكون كذلك[1].

من خلال ما ذكرناه يمكن القول إنه رغم الاختلافات الموجودة بين المثل والحكمة إلا أنهما يؤديان الوظيفة نفسها وغاياتهما متقاربة الأهداف، ألا وهي النصح والإرشاد، والفروق التي بينهما ليست كثيرة، فالمثل يصبح حكمة إذا أضفي عليه التجريد، والحكمة تصبح مثلا إذا تحقق لها الشيوع.

[1]- المرجع السابق، ص90.

الفصل الثاني

دراسة دلالية لنماذج من الأمثال في سورة البقرة

المبحث الأول: تقديم لسورة البقرة.

المبحث الثاني: دراسة دلالية للمثل في سورة البقرة.

المبحث الثالث: أثر المثل في دلالة الخطاب بسورة البقرة.

1- التعريف بسورة البقرة:

1- تسميتها:

سميت هذه السورة بسورة البقرة لأنها أوردت قصة عنها حيث طلب الله عز وجل من بني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة قال تعالى: "ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة "، ذلك بعد أن قتل فيهم قتيل ولم يعرفوا قاتله، فأمرهم الله تعالى أن يضربوا الميت بجزء منها فيحيا ويخبرهم من هو القاتل، ثم يموت مرة أخرى فيكون هذا العمل معجزة ربانية وبرهانا على قدرته[1].

وقيل إنها أضيفت إلى قصة البقرة تمييزا لها عن السور، الم من الحروف المقطعة التى كانت أسماء للسور الواقعة هي فيها وعرفوها بها نحو ،طه، يس، ص، وفي الإتفاق عن المستدرك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنها سنام القرآن "وسنام كل شيء أعلاه وهذا ليس علما لها ولكنه وصف تشريف، وكذلك قول خالد عابدين إنها قسطاط القرآن والقسطاط ما يحيط بالمكان لإحاطتها بأحكام كثيرة[2].

2- نزولها:

نزلت سورة البقرة بالمدينة بالإتفاق وهي أول ما نزل في المدينة، وقيل نزلت سورة المطففين قبلها بناء على أن سورة المطففين مدنية، ولاشك في أن سورة البقرة فرض فيها الصيام الذي فرض في السنة الأولى من الهجرة، فرض فيها صوم عاشوراء ثم صوم رمضان في السنة الثانية، لأن النبي صلى الله عليه وسلم، صام سبع رمضانات أولها رمضان من العام الثاني من الهجرة، فتكون سورة البقرة قد نزلت في السنة الأولى من الهجرة أو في أواخرها، أو في

---

[1]- عفيف عبد الفتاح طبارة، تفسير سورة البقرة ،ط 1، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ،2007، ص9.

[2]- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دط، الدار التونسية للنشر، تونس،1984 ، ج1، ص201.

الثانية، إلا أن اشتمال السورة على أحكام الحج والعمرة وعلى أحكام القتال ضد المشركين في الشهر الحرام يعني أن نزولها استمر إلى السنة الخامسة والسنة السادسة، وقد عدت هذه السورة السابعة والثمانين في ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة المطففين وقبل آل عمران[1].

3- أقسام السورة:

أ- المقدمة:

- من الآية (1) حتى الآية (5) صفات المتقين.
- من الآية (6-7) صفات الكفار.
- من الآية (8-20) صفات المنافقين .

ب- القسم الثاني:

يعرض نماذج لثلاث مجموعات استخلفهم الله تعالى هم: سيدنا آدم عليه السلام من الآية (30)، بنو إسرائيل من الآية (40)، وسيدنا ابراهيم من الآية (124).

ج-القسم الثالث:

- يتكون من الآيات (142-283) وهو عبارة عن أوامر و نواه يجب على الأمة وأفرادها ان يتبعوها.

د- الخاتمة:

تختم السورة بآيتين هما كنز من تحت العرش يمدح فيها الله تعالى المؤمنين[2].

4- مواضيعها:

لقد اشتملت هذه السورة على مواضيع عدة نقتصر على ذكر بعضها في مايلي:

---

[1]- المرجع السابق ،ص201.

[2]- سمر محمد حاووط، أول الغيث في تفسير سورة الفاتحة والجزء الأول من سورة البقرة ، ط1، دار المامون للنشر، 2008، ص 42.

التنويه بشأن القرآن بأنه هداية للناس ومتحد في الوقت نفسه جميع الناس بأن يأتوا بسورة من مثل سورة إذا كانوا يرتابون بأنه ليس من كلام الله، وتقرير بعجز الناس عن الإتيان بمثله، وإلى الآن لم يأت أحد بمثل هذا القرآن أو بسورة من مثله، وهذا دليل على أن القرآن الكريم وحي إلهي وليس كلام البشر[1].

الكلام المستفيض عن المنافقين الذين كانوا بمثابة طابور خامس ابتليت بهم الأمة وهم الفريق الذين عاثوا في الأرض فسادا، وقد تحدثت هذه السورة عنهم في ثلاث عشرة آية حيث كشفت عن خداعهم ومؤامراتهم على الإسلام[2].

أوضحت السورة أصول التشريع في نطاق العبادات من الدعوة إلى المحافظة على الصلوات، وبيان عبادة الصوم التي بها طهارة القلوب، وبيان بعض أحكام الحج والدعوة إلى بذل الصدقات على المحتاجين، وعدم إبطال ثوابها بالمن والأذى[3].

الكلام عن الجهاد في سبيل الله وأن القتال هو لرد الاعتداء لا للاعتداء على الناس بل لمنع الفتنة في الدين من اضطهاد المسلمين وإخراجهم من ديارهم[4].ا

دعوة المؤمنين للإنفاق في سبيل الله لأنه العدة للحفاظ على كيان الأمة من الإعداء[5].

هذا قليل من كثير مما ورد في هذه السورة من أحكام وقائع.

5- فضلها:

روى مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، إقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة، قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة.

---

[1]- عفيف عبد الفتاح طبارة ، تفسير سورة البقرة، ص10.

[2]- المرجع نفسه، ص10.

[3]- المرجع نفسه، ص10.

[4]- المرجع نفسه، ص10.

[5]- المرجع نفسه، ص10.

وروى أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة[1].

وروى الدارمي عن عبد اللهقال:ما من بيت يقرأ فيه البقرة إلا خرج منه الشيطان، وقال: أن لكل شيء سناما وأن سنام القرآن سورة البقرة، وأن لكل شيء لبابا، وأن لباب القرآن المفصل، قال أبو محمد الدارمي: اللباب الخالص[2].

كذلك روى الدارمي في مسنده عن الشعبي قال: قال عبد الله: من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة، حتى يصبح: أربعا من أولها ،وآية الكرسي، وآيتين بعدها، وتلاثا خواتيمها، أولها "لله ما في السماوات "، وعن الشعبي: لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان، ولا شيء يكرهه، ولا تقرأ على مجنون إلا أفاق[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه و سلم سمع نقيضا (صوتا) من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم، وقال أبشر بنورين أوتيتهما ولم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته[4].

عن أبي كعب رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم. فقلت :(لا اله إلا هو الحي القيوم)5.

---

[1]– القرطبي، الجامع لاحكام القران، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ،مؤسسة الرسالة ،ج1، ص 235.

[2]– المرجع نفسه، ص235.

[3]– المرجع نفسه 235.

[4]– سمر محمد حاووط ، أول الغيث في تفسير سورة الفاتحة والجزء الأول من سورة البقرة، ص41.

المثل الأول :

قال تعالى:

(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ(17)، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ) [**17-18**].

لقد جعل تعالى الله في كتابه آيات بينات للمنافقين لمواجهتهم بها وكشفهم على ما كانوا عليه جزاء لهم ردا على أفعالهم لأنهم خالفوا شرع الله وضعف إيمانهم واتبعوا أهواءهم، فأنزل الله فيهم هذه الآيات (17- 18 – 19).

1- دلالة المثل:

من التفسيرات الواردة لهذا المثل نجد قول الطبري في قوله: "مثل هؤلاء المنافقين بما أظهروا من الإيمان مع ما يخفونه من الكفر، كمثل من أوقد نارا حتى إذا انتفع بضيائها، وأبصر ما حوله خمدت النار فعاد المستضيء به في ظلمة وحيرة، كما أخبر الله عزوجل عن هؤلاء المنافقين الذين صموا عن سماع الحق والاعتراف به، أنهم لا يرجعون إلى الإقلاع عن ضلالتهم[1] .

ويوافق السعدي هذا الرأي بقوله: " مثل الحالة التي هم فيها، كمثل الذي استوقد نارا أي كان في ظلمة عظيمة، وحاجة إلى النار شديدة، فاستوقدها من غيره، فلما أضاءت النار ما حوله، وانتفع بها، إذ ذهب الله بنوره، وبقي في ظلمة عظيمة ونار محرقة، وكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين، فانتفعوا بها فبينما هم كذلك، إذ هجم عليهم الموت فسلبهم الانتفاع بذلك النور وحصل لهم ظلمة القبر، وظلم المعاصي على إختلاف"[2].

وكذلك فسره القرطبي بقوله" ضرب هذا المثل للمنافقين، وذلك أن ما يظهرونه من الإيمان،

---

[1]- ينظر الطبري، جامع البيان عن تفسير أي القرآن، تح: عبد الرحمن المحسن التركي، دط، دار هجر للطباعة والنشر، دس، ج1، ص 342.

[2]- ينظر، السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، دار إبن حزم، بيروت –لبنان، 2003، ص 30.

حتى حكم عليهم بحكم المسلمين وتساويهم معهم، بمثابة من أوقد نارا في ليلة مظلمة، فاستضاء بها ورأى ما ينبغي أن يتقيه وأمن منه، وإذا أطفئت عنه، وصل إليه الأذى وبقي متحيرا، فكذلك المنافقون، لما آمنوا اغتروا بكلمة الإسلام ثم يصيرون بعد الموت إلى العذاب الأليم "[1].

وبناءً على ما تقدم نصل إلى أن الأمثال التي ضربها الله تعالى للمنافقين لا يراد منها إلا تقريب ما يخفونه في صدورهم دون أن يظهر ذلك على أفعالهم، ولهذا جعل الله هذه الطريقة لكشف وفضح نواياهم الخبيثة.

2- المثل والتلقي :

إن فائدة ضرب المثل هنا أقوى في أخذ العبرة والعظة حتى تكون هذه الصورة الموضحة لحال المنافقين في الآخرة منفرة ورادعة من التخلق بهذا الخلق السيء الذي ليست له عاقبة سوى الحيرة والندم، فإن هذا المثل يحث الإنسان على أن يتبع طريق الحق والإيمان ويبتعد عن طريق الباطل والشرك.

أراد سبحانه وتعالى أن يبين حقيقة مواقف المنافقين، وكشف عن مكنون صدورهم، وفضح نفاقهم، ويبرزَها في معرض المحسوس المشاهد، فأتبعها بضرب هذا المثل، زيادة في التوضيح والتقرير، وهو مثل لكلِّ من آتاه الله ضربًا من الهدي، فأضاعه ولم يتوصلْ به إلى نعيم الأبد، فبقيَ متحيِّرًا متحسّرا في ظلمات الجهل والضلال.

ومن ناحية البيان نلاحظ أن هذه الصورة اشتملت على تشبيه تمثيلي، ففي هذا المورد شبه المنافقون الذين يأتون المؤمنين بوجه ويأتون أعداءهم من المشركين بوجه آخر، والمشبه به: هو مستوقد النار، ووجه الشبه: فهو الهيئة الحاصلة بين نور الإيمان في قلوب المنافقين، وإضاءة النار للمستوقد في الصحراء المظلمة، أما أداة التشبيه: كتكرار كلمة (مثل).

[1]- ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص22.

ومن ناحية البلاغة أول ما سنصادفه في هذا المثل هو تمثيل الجماعة بالواحد بقوله: ذا(الذي)، بدل(الذين) لقوله: (وخضتم كالذي خاضوا)، وهذا أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد، إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد[1] .

وفي قوله تعالى: (فَلَمَّا أَضَاءَتْ)، ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة، وبقاء ما يسمى نورا، والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا[2].

ونقرأ قوله تعالى: (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ)، حيث كان الظاهر أن يقال: (أذهب الله نورَهم)، ولكنَّ الله تعالى، لم يقل هذا، وإنما أسند سبحانه الذهاب إليه حقيقة، لا مجازًا، وفي هذا دِلالة على المبالغة، فيُفهَمُ منه: أنه استصحبه معه، وأمسكه عن الرجوع إلى الحالة الأولى، التي كان عليها[3].

كما جمع الضمير في قوله سبحانه(بِنُورِهِمْ) مع كونه يلصق الضمير المفرد في قوله (مَا حَوْلَهُ) مراعاة للحال المشبهة وهي حال المنافقين لا للحال المشبه بها، وهي حال المستوقد الواحد[4].

وأيضا قوله تعالى: (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ)، والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه، واتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة شديدة لا يتراءى فيها شبحان، وهو قوله: (لَا يُبْصِرُونَ)[5].

أفرد الله سبحانه النور الذي المنافقين إياه وجمع الظلمات فقال: ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لأن نور الحق واحد والظلمات الواقعون فيها متعددة فمنها ظلمة النفاق وظلمة الشرك

---

[1]- ينظر، الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 51.

[2]- المصدر نفسه، ص52.

[3]- المصدر نفسه، ص52.

[4]- ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص308.

[5]- ينظر، الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 52.

وظلمة المعصية، ولأجل كثرتها صور حالهم أنهم في ظلمات لا يبصرون [1].

بهذا المثل قرب الله سبحانه صفات التمزق في المنافقين إلى فهمنا، لنعرف فساد عقيدتهم وننتبه لها، ووضح لنا ما يمكن أن يفعله الكفر بالنعمة والطغيان في الحق، ومن الملاحظ أن صورة هذا المثل تنتمي إلى مجال الخلق والتكوين فالنار من مخلوقات الله والناس يستعملونها في كافة شؤونهم ويستنيرون بها في ليلهم وليس من الصعب تخيل ما سيؤول إليه المحروم من النار بشعور بالبرد ووحشة الظلام .

المثل الثاني:

قال تعالي:

(أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ (19) يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) [**19-20**].

جاء هذا المثل معطوفا على المثل، الأول فبعد أن مثلهم تعالى بمستوقد النار ثنى في شأنهم بتمثيل آخر بأوصاف أخرى، كي يوضح أكثر صورة نفاقهم، فهو تمثيل لحالة المنافقين المضطربة التي لا تثبت على رأي أو مبدأ، فهم في حالة غير ثابتة بين اتباع خطوات الشيطان حينا، وإظهار الإيمان حينًا آخر وقد جسمت حالة نفوسهم المضطربة في المطر الهاطل والرعد المخيف، والبرق الخاطف، في إدخال الأصابع في الآذان.

1- دلالة المثل:

[1]- ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص312.

عمد كثير من المفسرين إلى تفسير هذه الآية ومن بينهم الطبري في قوله: "هذا مثل ضربه الله لظاهر إيمان المنافقين، فمثلهم كمثل قوم يمشون في ليلة مظلمة، ذات مطر ورعد وبرق فلما أضاء البرق أبصروا الطريق فمضوا فيه، ولها ذهب البرق توقفوا واحتاروا، كذلك حال المنافقين لما يسمعون القرآن الذي بمثابة مطر وظلمات ما فيه من الوعيد والتهديد ولضعف بصائرهم وضيق عقولهم اشتدت عليهم الأوامر والنواهي، ولكن لا شيء من هذا ينفعهم لأن الله تعالى قادر عليهم ولا مفر لهم من العقاب"

يقول محمد رضا: "وهو فريق لم يثبت على رأي واحد، أي الفريق الذي بقي له قليل من النور فله نظرات ترمي إلى ما بين يديه من الهداية أحيانا ولمعان يسطع على نفسه عندما تحركه الفطرة، ولكنه في ظلمات حالكة يتخبط على حال لا تخلو من المهالك وهو في تخبطه يسمع قوارع الإنذار الإلهي ويشع في عينيه نور الهداية فإذا أضاء له ذلك البرق سار، وإذا انصرف عنه توقف وتحير لا يدري أين الطريق، ثم إنه ليعرض عن سماع نذر الكتاب ودعاة الحق كمن يضع أصبعيه في أذنيه حتى لا يسمع الإرشاد والنصح ويخاف من تلك الصواعق أن تؤذيه"[1].

وفي تفسير آخر يقول صابر محمد: "هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ويشكون تارة أخرى فقلوبهم في حال كفرهم وشكهم وترددهم(كَصَيِّبٍ)، والبرق هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان من نور الإيمان ولهذا قال:(يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ)، أي لا يجدي عنهم حذرهم لأن الله محيط بقدرته وهم تحت إرادته، وقوله سبحانه:(يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ)، أي لشدته وقوته في نفسه وضعف بصائرهم وعدم ثباتها للإيمان، و(كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا)، أي يعرفون الحق

– ينظر، الطبري جامع البيان عن تفسير أي القرآن، ج1، ص373.

[1]– محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المنار، ط2، 1947، ج1، ص143.

ويتكلمون به فهم من قولهم به على إستقامة، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا أي متحيرين"[1].

ونستخلص من هذا المشهد أن نفوس المنافقين متذبذبة لا تستقر على منهج واحد تجاه آيات الله تعالى لهذا كان الرعب والفزع والحيرة رفيقهم الملازم لهم .

2- المثل والتلقي:

هذه الأمثال ضربها الله تعالى للناس عن المنافقين والكافرين حتى يتبين لهم مقدار ما يوقعهم به النفاق، أو الكفر، من القلق والحيرة والشدة، لعلهم يتعظون لاسيما وقد وهبهم خالقهم المدارك والحواس التي من شأنها أن تفتح أمامهم السبل لسماع الهدى رؤية الحق، فالبنظر في هذه الصورة المروعة، تجعل المخاطب يستحضر طاقاته الفكرية، فيدرك المشهد في ذهنه ويستوعبه بكل أبعاده فيبعث في نفسه الخوف، والهلع من هذه الصورة الرهيبة والمنفرة للمنافقين، كي يتجنب الوقوع في شرك النفاق.

أما بيان حقيقة التمثيل الوارد في الآية فيظهر في السياق من خلال تشبيه صورة بصورة إذ نجد المشبه: المنافقين الذين دخلوا الإسلام واستناروا بنوره ثم عادوا إلى كفرهم. والمشبه به: هم القوم الذي نزل عليهم صيب محمل بالرعد والبرق والصواعق. ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من خوف وتردد وظلمات.

وتبدو البلاغة في هذا المثل في نظم الألفاظ بجوار بعضها البعض وتناسقها، وأول ما يظهر منها ابتداء قوله ب: (أَوْ كَصَيّبٍ مِنَ السَّمَاءِ)، فهو تمثيل لحالهم أثر تمثيل ليعم البيان منها ويوفى حقها من التفظيع والتهويل[2].

قوله (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم)، فحقيقة الأصبع هو ما يوضع في الأذن وتحديد الأنملة، وفي هذا مبالغة لخوفهم للشديد من البرق والصواعق.[53]

---

[1]- صابر حسن محمد أبو سليمان، غاية البيان في أمثال القرآن، دط، دس، ص15.

[2]- ينظر، الزمخشري، تفسير الكشاف،ص54

[3]- المصدر نفسه، ص54.

نلاحظ في ذكره تعالى (أصبع) بدل السبابة رغم أنها المستعملة في سد الأذن، وقد ذكر الإسم العام دون الخاص لأن السبابة فعالة من السب، فكان اجتنابها أولى بأداب القرآن[1].

وكذلك في قوله (وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ)، تذكير بأن المقصود من التمثيل لحال المنافقين في كفرهم لا لمجرد التفنن في التمثيل[2].

ففي هذه الآيات فضح لنفوس المنافقين المنطوية على الخداع والكذب، بينت مدى تفاهة عقولهم وهشاشة أنفسهم حتى يأخذ المؤمن حذره منهم ولا يغتر بألاعيبهم، وينجر إلى وادهم المظلم، وقد أخذت هذه الصورة الممثل بها من الظواهر الطبيعية حيث إن الله سبحانه ضرب المثل للناس بما اعتادوا عليه من ظواهر كتعاقب الليل والنهار وما يصحب العواصف من صواعق ورعود هكذا يسهل عليه تخيل الصورة ويستوعبها.

المثل الثالث:

قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِين) [**26**] .

إن كثيراً من الناس في هذه الأيام لا يهتم بصغائر الأمور ويهتم بالأمور العظيمة التي تقع بين عينيه مع أن في الصغائر آيات وعبر، لأولى الألباب ولعل من آيات الله العظيمة التي ينكرها أو يجهلها كثيرُ من الناس تلكم الدابة الصغيرة التي خلقها الله سبحانه وتعالى وهي البعوضة التى تعد أصغر دابة يراها الإنسان بالعين المجردة.

جاء هذا المثل كإجابة للمشركين الذين ينكرون ضرب الأمثال بالأشياء الحقيرة كالعنكبوت والذباب، بحيث يستهزئون بأيات الله عزوجل، والله تعالى لا يستحي من الحق مهما كان،

[1]- المصدر نفسه، ص54.

[2]- ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 319.

ولذلك فالذين يصدقون كلام الله لن يكون لديهم أدنى شك في أياته، وأما الكافرون فيضلون أكثر ويزيدون كفرا على كفرهم.

وهذا ما ذهب إليه بعض المفسرين ونجد في أقوالهم ما يلي:

أن الله جلت قدرته لا يرى من النقص في أن يضرب المثل بالبعوضة فما دونها، وأما المؤمنون فيقولون ما ضرب الله هذا المثل إلا لحكم اقتضت ضربه لها، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا المثل الحقير من الذباب والعنكبوت؟ وقد أجابهم الله سبحانه بقوله: (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) أي: أن الجاهلين إذا سمعوه كابروا وقابلوه بالإنكار فكان ذلك سببا في ضلالهم، وأما الذين من عاداتهم الإنصاف فإذا سمعوه ازدادوا إيمانا، وما يضل الله بضرب المثل إلا الذين خرجوا عن سنة الله في خلقه وهداهم إليها[1].

وفي تفسير آخر مماثل يقول صاحبه " إن الله تعالى لا يترك خاشيا لومة لائم أن يمثل أمرا ثابتا محققا بأمر واقع محسوس وتوضيحا للأمور لتكون بينة للجميع، فأما القلب الذاكر الطاهر الذي يطلب الحقائق ويتقبلها معتبرا مؤمنا فيزداد إيمانا، والقلب المضطرب المعاند، المكابر والمثير للإستغراب والعجب، كأنه يحاول بذلك أن يثير غبارا حول الحقائق الثابتة، ووضح الله عزوجل أنه يضل بالمثل كثيرا من الضلال، وكثيرا من الناس، وبالمقابل يزيد المؤمنون هديا وإيمانا لإيمانهم [2].

كما جاء أيضا في البحر المحيط: "بأن الله تعالى أخبر بأنه "لا يستحي أن يضرب أقل الأمثال في الحق وأحقرها وأعلاها، جوابا منه جل ذكره لمن أنكر من منافقي خلقه ما ضرب لهم المثل بموقد النار والصيب من السماء، فأما من صدقوا الله ورسوله، فيعرفون أن المثل الذي ضربه الله حق، وأما الذين كذبوا بآياته تعالى وأنكروا ما عرفوا، يتساءلون لما ضرب هذا المثل، والله تعالى يضل بهذا المثل كثيرا من أهل النفاق والكفر، ويزيد المهتدين هدًى

[1]- ينظر الزمخشري، تفسير الكشاف، ص54

[2]- المصدر نفسه، ص52.

إلى هداهم، وما يضل به إلا الخارجين عن طاعته والتاركين إتباع أمره"[1].

نستخلص من هذه التفاسير أن الله تعالى لم يقتصر في ضربه الأمثال على المخلوقات الضخمة الظاهرة للعيان، وإنما شمل حتى المخلوقات الدقيقة التي لا تُرى بالعين المجردة.

2-المثل والتلقي:

فهذه الآيات التى سبق الحديث عنها تدلنا أن جميع مخلوقات الله سبحانه من أصغرها إلى أكبرها هي آية دالة على استحقاق الله عز وجل للعبادة دون سواه، وإن بدت هذه الحشرة تافهة فقد أودع الله سبحانه فيها من آياته وقدرته ما تتحير بها العقول، فالله سبحانه وتعالى في هذه الآيات لا يستحي أن يضرب مثلاً بالبعوضة، التي قد يعتبرها بعض الجهال مخلوقاً تافهاً، لكن الله سبحانه لا يستحي أن يضرب مثلاً بها، وذلك ليدلنا على آيات عظمة خلق البعوضة حتى نكتشف بديع صنع الله تبارك وتعالى في البعوض.

فهذا المثل ما ضربه سبحانه وتعالى إلا ليختبر الناس ويمتحن إيمانهم، فإن صدقوا ثبتوا على صدقهم وأخذوا العظة منه، وإن كانوا كاذبين أنكروه وجحدوه، وإنما العبرة في الخلق ليست بالحجم وبالشكل، ويعني أن الشيء كلما كان أصغر كان الإطلاع على أسراره أصعب فإذا كان في نهاية الصغر لم يحط به إلا علم الله سبحانه فكان التمثيل به أقوى وأكثر تأثيرا في الدلالة على كمال الحكمة من التمثيل بالكبير.

إن الآية الكريمة جاءت من باب موافقة الإجابة للسؤال هو افتتاحها بأن المؤكدة للخبر، فهي اشتملت على تشبيه مفرد بمفرد، أي إن الله لا يترك ضرب المثل بالبعوضة، ترك من لا يستحي من البشر أن يتمثل بها .

ونجد (ما بعوضة) ما: إبهامية صفة لمثل وهي جاءت للإيضاح والتوكيد.

وتصدير الجملتين: ب:(أما) التي معناها الشرط ،مشعر بالتوكيد إذ هي أبلغ من :الذين

[1]- ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، دط، دار الفكر، بيروت- لبنان، ج1، ص193.

آمنوا يعلمون، والذين كفروا يقولون، فبإضافتها تقرر وقوع الخبر لا محالة[1].

وقد تضمنت هذه الآية الكبيرة نوعًا من البديع يسميه أرباب البيان: بالطباق.

وقد تقدّم شيء منه، وهو أن تأتي بالشيء وضدّه، ووقع هنا في قوله تعالى: (بعوضة فما فوقها) فإنهما دليلان على الحقير والكبير، وفي قوله: (فأما الذين آمنوا) (وأما الذين كفروا) وفي قوله تعالى: (يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا).

وجاء في هذين الإثنين مناسبة الطباق، وهو أن كل واحد منها كائن بعد مقابلة، فالضلال بعد الهداية، يهتدى بها من يريد الهدي، ويضل بها من يريد الضلال، إذ هي تناسبت في الطباق[2].

والآية (يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً) جاءت على صيغة المستقبل لتدل على الاستمرار والتجدد.

كما نلاحظ تكرار حرف (به): في الآية لغرض بلاغي، هو زيادة تقرير السببية وتأكيدها.

هكذا فقد عنيت الأمثال بتصوير ملامح وخصائص هذه الفئة بغرض الهداية والإصلاح، وتحذير الكافرين من استهزائهم بآيات الله، ونجد أن هذا التمثيل مأخوذ من مجال الخلق والتكوين لما فيه من إعجاز رباني يجعل العقل يتعجب ويندهش من قدرة الله وعظمته في خلق دقائق الأمور .

المثل الرابع:

قال تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [171].

هذا مثل من واقع البادية يعرفه العرب للكافر الذي يدعو أصنامه وأوثانه أن تجلب له الخير وتباركه، حتى إذ جاءهم رسول من عند الله بالهدى والحق رفضوه وتمسكوا بعاداتهم

[1]- إبن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص364

[2]- ينظر، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص 200.

ومعتقدات سابقيهم، "وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه أباءنا"[البقرة 170].

1- دلالة المثل:

من بين تفاسير هذه الآية ما ذهب إليه الميداني في قوله:" مثل الله تعالى صورة الذين كفروا بالحق بادعائهم أصنامهم، وإيغالهم في الجهل والضلال بالبهائم التي يصيح لها راعيها إلى طريقها فتصد عنه ولا تفهمه، فمثل من يدعو الذين استوى لديهم الإنذار وعدمه كمن يخاطب بصوته العالي قطيعا من الغنم، فلا يسمع منه إلا دعاء ونداء، لأنه لا يعي الكلام الذي يخاطب به، فهم بالنسبة إلى دعوة الإيمان وآياته صم بكم عمي فهم لا يعقلون"[1].

كذلك قال الزمخشري:" مثل الذي يدعو الكفار إلى الإيمان، كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداء الذي هو تصويت بها، ولا تفقه شيئا آخر، ويجوز أن يراد بما لا يسمع الأصلح الذي لا يصله من كلام الرافع صوته بكلامه إلا نداء لا غير فهم للحروف، وقيل معناه: ومثلهم في اتباعهم أباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت، فكذلك هؤلاء يتبعونهم ع+لى ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق أم باطل ."[2]

وفسر البغوي هذا المثل بأنه "وصف الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلا صوت راعيها، فهم صم لا يسمعون وبكم لا يتكلمون، وعمي لا يبصرون"[3].

من خلال هذه التفاسير نستنتج أن هذا المثل يحمل عدة دلالات، أي قد يكون المقصود بالناعق الرسول صلى الله عليه وسلم، والمنعوق هم الكفار، وقد يكون الكفار أنفسهم الناعق والأصنام هي المنعوق أو آباءهم.

---

[1]- ينظر عبد الرحمن بن حنبكة الميداني، أمثال القرآن الكريم، ط2، دار القلم دمشق، 1996، ص120.

[2]- ينظر الزمخشري، تفسير الكشاف، ص107.

[3]- ينظر البغوي، معالم التنزيل، ج1، ص182.

2- المثل والتلقي:

جاء هذا المثل بصورة تحذر من اتباع الشيطان، وتعطيل عن المعرفة والهداية وتنديدا بالتفكير المعوج والعادات البالية التي سيطرت على أخلاق الكافرين في أفكارهم، وباعدت بينهم وبين استلهام الضوء من مصدره الجدير بالاتباع والإيمان، فإذا بذل رسول الله نصحه لهم بإتباع ما أنزل عليه، غلبت عليهم شقوتهم وأغضبتهم الجاهلية، وفكرهم المريض الذي يدعو إلى التقليد، ومسخ الصورة الآدمية التي كرمها الله تعالى بالعقل والتمييز[1].

وفي سياق آخر يقول السعدي أنه: " لما بين تعالى عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل، علم من ذلك أنهم غير قابلين للحق، ولا مستجيبون له، بل كان معلوما لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم، والسبب في ذلك أنه ليس لهم عقل صحيح، فهل يشك العاقل في أن من دعي إلى الرشاد ونهي عن اقتحام العذاب وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه، فعصى الناصح، وألقى بنفسه إلى الهلاك، واتبع الباطل ونبذ الحق، فإن هذا ليس إلا سفيها وجاهلا "[2].

ونلمس في هذا المثل إرشادًا إلى أن التقليد بلا عقل ولا فهم من شأن الكافرين، وأما المؤمن فمن شأنه أن يعقل دينه ويعرف بنفسه، ويقتنع بصحته، إذ ليس القصد من الإيمان أن يذلل كما يذلل الحيوان، بل المقصود منه أن يرتقي عقله بالعلم والعرفان، فهو يعمل الخير لأنه نافع يرضي الله تعالى، ويترك الشر لأنه يضره في دينه ودنياه[3].

ومن الملاحظ أن هذا المثل جاء على هيئة التشبيه التمثيلي، حيث شبهت حال داعي الكفار أثناء إعراضهم عنه وسماعهم لنصحه بحال راعي البهائم أثناء صياحه بها وهي لا تفقه إلا الصوت. ووجه الشبه هو الصوت المنادى لجماعة لا تفهم ما يتردد في سمعها.

وفي سياق الآية، نلاحظ البلاغة في نظم عباراتها بما فيه من إيجاز جميل وألفاظ معبرة

---

[1]- عبد العال الطهطاوي، عون الحنان في شرح أمثال القرآن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2004، ص 199.

[2]- ينظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 66.

[3]- ينظر المراغي، التفسير، ج2، ص 46.

موحية.

أما الإيجاز، فنلمحه في قوله تعالى:"وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا" (أي مثل داعي الذين كفروا) فهنا إيجاز حذف في المفرد، إذ حذف منه المضاف وقد يكون هذا الحذف من جانب المشبه به وعندها يكون التقدير، (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً)، والجملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها ومعطوفة عليه والجامع أن الأولى لبيان حال الكفار وهذا تمثيل لها[1].

وقوله تعالى (ينعق) من النعاق وهو التتابع في التصويت لزجر البهائم، وهي أبلغ في السياق من قوله ينادي أو يدعو، لأن استعمال النعاق مع البهائم أدق في الإيحاء بذلك الصوت الذي يناسبها من جانب ويناسب أولئك الذين شبهوا بالبهائم من جانب آخر.

أما في قوله سبحانه (لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء) فكناية عن عدم الفهم والاستجابة.

(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْي فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ)، أي لا يدركون شيئاً لفقدان الحواس الثلاث وقد قيل: من فقد حسا فقد علما، وليس المراد نفي العقل الغريزي باعتبار انتفاء ثمرته.

ونخلص إلى أن هذه الفئة من الكافرين ذات عقدة كفر في أعماقهم ومن كانت عقدة كفره في أعماق نفسه، تكون النتيجة التي تقضي بها سنة الله في خلقه أن يختم على قلبه فلا يقبل الهداية وفي هذا إلماح للدعاة بأن لا يوجهوا اهتمامهم الكبير لهذا الصنف الميؤوس من إيمانه، إذ استوى عنده الإنذار من عدمه.

المثل الخامس:

قال تعالى: (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [**261**].

تمثل هذه الآية مسألة في الإنفاق وما يترتب على ذلك من أجر عظيم عند الله عز وجل،

[1]– محمود الآلوسي، روح المعاني لتفسير في القرآن العظيم والسبع المثاني، الطبعة الجديدة، دار الفكر بيروت سنة 1983، ج2، ص41.

وهذا مثل ضربه الله تعالى ليصور مضاعفة الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغى مرضاته، وإن الحسنة بعشرة أمثالها مثلما يضاعف عدد حبات السنبلة، وفيه إشارة إلى أن الله ينمي الأعمال الصالحة، وهذا النماء يكون بحسب حال المنفق وإخلاصه وصدقه وبحسب حال النفقة ونفعها ووقوعها موقعها، وأن الله تعالى واسع العطاء، وهو أعلم بمن يستحق هذه الزيادة ومن لا يستحقها.

ولهذه الآية معانٍ عديدة لدى المفسرين ، وقدموا كثيرا في تفسيرها، فنجد أبَا بكر الجزائري يقول: "يخبر تعالى مرغبا في الجهاد بالمال لتقدمه على الجهاد بالنفس لأن العدة أولا والرجال ثانيا، إن مثل ما ينفقه المؤمن في سبيل الله وهو هنا الجهاد، في نمائه وبركته وتضاعفه، كمثل حبة بذرت في أرض طيبة فأنبتت سبع سنابل مائه حبة فأثمرت الحبة الواحدة سبعمائة حبة، وهكذا الدرهم الواحد ينفقه المؤمن في سبيل الله يضاعف إلى سبعمائة ضعف وقد يضاعف إلى أكثر[1]، لقوله تعالى:"والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم" وهذا الرأي ذاته ما ذهب إليه القرطبي في تفسيره للآية الكريمة إذ يقول:"مثل نفقة الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل زارع زرع في الأرض حبة، فأنبتت الحبة سبع سنابل، وفي كل سنبلة مِّائَةُ حبة، فشبه المتصدق بالزارع، وشبه الصدقة بالبذر، فيعطيه الله بكل صدقة سبعمائة حسنة، ثم قال تعالى:"والله يضاعف لمن يشاء "، يعني على سبعمِّائَةُ، فيكون مثل المتصدق مثل الزارع، إن كان حاذقا في عمله، وكان البذر جيدا، وتكون الأرض عامرة، يكون الزرع أكثر، فكذلك المتصدق إذا كان صالحا، والمال طيبا ويضعه موضعه، فيصير الثواب أكثر[2].

كذلك نجد تفسيرًا آخر موافقًا لهذين السابقين يقول صاحبه: "وقد شبه سبحانه حال الذين ينفقون في سبيل الله بحال حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مِّائَةُ حبة، وقد ذكر مفسرون آخرون أن التشبيه ليس بين الذين ينفقون والحبة، بل بين الصدقة نفسها والحبة، فالكلام فيه

[1]- ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ط3، نهر الخير، 1990، ج1، ص 254.

[2]- ينظر القرطبي، ج4، ص318.

مضاف محذوف مقدر في القول، وتقديره: مثل صدقة الذين ينفقون في سبيل الله، فقد شبه سبحانه الصدقة التي تنفق في سبيله بحبة تلقى في الأرض فتخرج عودا مستويا قائما تتعلق به سبع سنابل في كل سنبلة مِّائة حبة، يعني أنه يتولد عن هذه الحبة التي باركها خالق الحب والنوى إلى سبعمائة حبة، وإسناد النبات إليها من حيث اتصاله بها، وإن تلك الحبات هي نماء متولد عنها، وفي الحقيقة إن المنبت هو الله سبحانه وتعالى[1].

وخلاصة هذه التفاسير أن المنفق في سبيل الله إنما يجد العطاء والحماية من الله تعالى فلا خوف عليه وليس ذلك فقط، وإنما سوف يأتي في تصرفات الحق ما يفرحهم بزيادة الرزق والرضا عن النفس.

2- المثل والتلقي:

إن أثر هذا المثل يتجلى في كيفية عرض المعنى الذي تناوله السياق، فكما نعلم إن الآية تعرض لموضوع الإنفاق وهو أمر عزيز على النفس سواء كان ذلك بالمال أو بالروح وليحصل الترغيب فيه، عرضت الآية الكريمة هذا المعنى بطريقة تصويرية جميلة تبدو فيها الزيادة والنماء على أحسن وجه وأظهره بل إن للطريقة التشويقية الجميلة التي عرض بها ذلك المعنى أثرها الكبير على السامع والقارئ مما يدعوه إلى المبادرة والإقبال المطلوب بدلا من الإحجام عنه والفرار منه.

يقول السعدي: "هذا إحضار لصورة المضاعفة بهذا المثل، الذي كان العبد يشاهده ببصره فيشاهد هذه المضاعفة ببصيرته، فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد العيان، فتنقاد النفس مذعنة

[1]- ينظر أبو زهرة، زهرة التفاسير، ص 971.

للإنفاق سامحة بها، مؤملة لهذه المضاعفة الجزيلة والمنة الجليلة"[1].

فحجم هذه المضاعفة الكبير،"يثير محور الطمع في الإنسان، ففي تمثيل بذل المال في سبيل الله ببذر الحب في الأرض الزراعية المعطاء الطيبة، إثارة قوية لمطامع العبد، لأنه يعرف قيمة العطاء الزراعي إذا أقبل، ويشهد أمثلته الكثيرة في الواقع فإذا كان هذا الإقبال في العطاء الزراعي قد يصل بعملية حسابية سهلة سبعمائة ضعف، لأن الحبة الواحدة تنبت سبع سنابل، والسنبلة الواحدة تحمل مائة حبة، كانت إثارته لطمع الإنسان كبيرة، والغرض من هذا التمثيل، بيان حقيقة مضاعفة ثواب المنفقين في سبيل الله إلى أضعاف كثيرة، فيكون هذا محرضا ذاتيا في الأنفس على بذل الأموال في سبيل الله"[2].

فالإنسان خلق لينفع نفسه وينفع غيره ممن يعيش معه بأوجه النفع العديدة، من مال وعلم، وعمل صالح يصل من صاحبه إلى الآخرين فيتأثرون به، ويقتدرون ويعملون، وفي هذا إعادة التوازن للمجتمعات، الذي لا يكون إلا بالعطاء الناجم عن الاقتناع، والبذل للحق المعلوم، الذي فرضه رب العالمين، وهو العالم بالحقائق، الخبير بما يصلح للبشر ويزيل ما بهم من أحقاد وكراهية"[3].

وفي الجانب البياني نلاحظ أن الآية الكريمة تشتمل على تشبيه تمثيلي، ففي هذا المورد المشبه: هو الإنسان المنفق، والمشبه به: هو البذور الكثيرة البركة، ووجه الشبه هو الهيئة

---

[1]– ينظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص96.

[2]– ينظر عبد الرحمن بن حنبكة الميداني، أمثال القرآن، ص 86.

[3]– ينظر عبد العال الطهطاوي، عون الحنان في شرح أمثال القرآن، ص 226.

الحاصلة من النمو والزيادة في الشيء، بعد قلته وضآلته.

وهي صورة بيانية جميلة يبدو فيها المعنى المجرد محسوسا ملموسا، ترغبه النفوس فتقبل عليه.

وتبدو لنا البلاغة القرآنية في هذا المثل في قوله تعالى: "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة"، فقد حدث حذف في أحد الطرفين والتقدير إما: (مثل نفقة الذين آمنوا كمثل حبة) أو :(مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل باذر حبة) فلولا هذا الحذف لما صح التمثيل وكما هو معلوم، فإن الحذف من الأساليب المتكررة في القرآن الكريم فقد أستعمل بكثرة للحفاظ على جمال ورونق ألفاظ كتاب الله العزيز[1].

وكذلك نسب الإنبات إلى الحبة على سبيل المجاز، إذ كانت سببا للإنبات، كما ينسب ذلك إلى الماء والأرض، وحقيقة المنبت هو الله تعالى، وهذا المجاز يضفي جمالا يشد به إنتباه السامع أو القارئ له فيستسيغه ويحببه إليه [8].

وفي قوله تعالى (سبع سنابل) أضيف عدد القلة وهو سبع إلى الجمع وهو للكثرة فلم يقل (سنبلات)، لأن الأول أكثر فصاحة من جمع القلة[2].

من خلال هذا يتضح لنا أن إخلاص النية في الصدقة واحتسابها لوجه الله سبب لمضاعفتها ونمائها، وصورة هذا المثل مأخوذة من مجال الفلاحة لكونها صورة مألوفة للإنسان وتأثيرها قوي عليه فعند رؤيته لحقول مليئة بالسنابل يشعره بالبهجة والسرور .

---

[1]– أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2 ،ص 653.

[2]– المصدر السابق، ص 657.

المثل السادس:

قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [264]

حينما اشترط الله عز وجل على المنفق في سبيله أن تكون نفقته خالصة لوجه الكريم، وذلك بأن لا يتبعها بالمن والأذى ، لم بكتف بذلك إنما جعل المن والأذى مبطلين للصدقة، وأعاد ذكرهما في هذه الآية ليبين مدى خطورتهما على الصدقة، وكيف أنهما يجعلانها هباء منثورا.

1 – دلالته:

من أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة قول أبي حيان الأندلسي وهو أنه: "ذكر تعالى لطريقة إبطال الصدقة بالمن والأذى مثلين، مثله أولا بمن ينفق ماله ليراه الناس، وهو كافر لا يؤمن بالله في حقيقة، ثم مثله ثانيا بالصفوان الذي وقع عليه تراب، ثم إذا أصابه المطر الغزير أذهب عنه ذلك التراب وتركه أملس، فكما أزال المطر التراب الذي على الصفوان، كذلك يبطل المن والأذي أجر الإنفاق بعد حصوله"[1].

وفي تفسير آخر يقول صاحبه: إن مضمون الآية الكريمة بمعنى لا تبطلوا أجور صدقاتكم بالمن والأذى، كما أبطل كفر الذي ينفق ماله رئاء الناس، وذلك بأن يعطي من ماله حتى

[1] ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج2، ص263.

يمتدح عليه، وهو لا يريد بن وجه الله تعالى، ففعله هذا يشبه حجرا عليه تراب خفيف يحسبه الزارع أرضا منبته ولكن بمجرد أن ينزل عليه مطر شديد يذهب ذلك التراب وينكشف الحجر ويبقى صلدا، وهكذا مصير الأعمال المغلفة بالمن والأذى فإنها تضمحل ولا يبقى لصاحبها أجر يعود عليه ويستفيد منه"[1].

ويوافق هذين الرأيين البيضاوي في تفسيره إذ يقول: "إن الله تعالى يخاطب المؤمنين ويحذرهم من أن لا يحبطوا أجر الصدقة بكل من المن والأذى كما تبطل صدقة المنافق الذي يرائي بإنفاقه، ومثله كالحجر الأملس، الذي عليه طبقة تراب، فلما أصابه مطر عظيم، ترك ذلك الحجر صلدا نقيا من التراب، كذلك المراؤون لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجحدون له ثوابا"[2].

من خلال هذه الدلالات نفهم أن الإنفاق المصحوب بالمن والأذى والرياء ليست من صفات المؤمنين، وإنما هو من صفات الكافرين.

2 – المثل والتلقي:

جاء هذا المثل محذرا من المن والأذى، ومقبحا للصدقات التى لا تكون خالصة لله تعالى، لأن الصدقات شرعها الله سبحانه والفقراء برباط المحبة والأخوة، فإذا ما أتبعها ما يحبطها أثمرت عكس ما شرعت له، لأنها تثير الكبر والتعالي في نفس المعطي، وتثير في نفس

[1] ينظر الطبري، جامع البيان، ج4، ص259.

[2] ينظر البيضاوي، تفسير البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، دط، ج1، ص158.

المعطى له شعورا بالذل واحتقار النفس والانكسار، وبذلك تنقطع الروابط، ويتمزق المجتمع.

والمتصدق الذي يتبع صدقته بالمن والأذى يخسر خسارتين فأما الخسارة الأولى، فأن المال الذي تصدق به لن يعوضه له الله تعالى لأنن ليس فيه إخلاص للنية، والخسارة الأخرى هي الحرمان من الثواب، لأن الله سبحانه يجازي بالثواب عباده الصالحين المخلصين، ولا بد لهذه الخسارة الكبيرة من أن تثير في الإنسان محور الخوف، ليكون على حذر من إبطال صدقاته، ويكون لديه محرض ذاتي يبعده عما يبطل أعماله ويضيع ثوابها.

أما من جهة البيان فإن في هذا المثل صورة مركبة أمام أخرى مثلها، الأولى هي صورة الصدقة المتبوعة بمن وأذى، وأما الصورة الموضحة لها فهي صورة تراب على حجر أملس أتى عليه مطر شديد فأزال ذلك التراب.

ووجه الشبه: هو ضياع أجر صدقة المرائي كزوال التراب.

وفيما يخص البلاغة فإننا نلمسها سواء في تناول الألفاظ أو تركيبها متجاورة بعضها مع بعض، وأول ما نلمحه منها ابتداء الآية الكريمة ب (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا(، فهذا نداء لطيف من رب العزة لعباده الصالحين المؤمنين به، لأنهم المتهيؤون للإنصات لندائه تعالى، وهذا الأسلوب يثير المشاعر الطيبة في نفس انسان الذي يملك ولو ذرة ايمان في قلبه، فيبادر لتنفيذ الأمر دون تردد.

وقوله سبحانه(كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ)، فكان التشبيه في المثل ظرف: أي في تقدير قولنا حالهم كحال الذي ينفق رياء، أي لا تكونوا (أيها المؤمنون المتقون) في اتباع

صدقاتكم بالمن والأذى (وقد أكرمكم الله بالإسلام) كالذي ينفق ماله وهو كافر[1].

والموصول من قوله تعالى (كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ)، مراد به جنس (أي كل من اتصف بهذه الصفة) وليس المراد معينا (من الناس أي شخصا بعينه)، والغرض من هذا التشبيه تفظيع المشبه به وبيان سوء حاله، وليس المماثلة في الحكم الشرعي، وليس كل من اتصف بالمن بعد الإنفاق فهو كافر، إنما المقصود بيان أن هذا من شأن الكافرين المكذبين باليوم الآخر[2].

وفي كلمة الرئاء بهمزتين وهي فعال، وأول الهمزتين أصلية والأخيرة مبدلة عن الياء فأصلها رئاي، وجاءت بهذه الصيغة للمبالغة والكثرة من وقع المن والأذى عل الصدقة[3].

وجملة (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)، تذييل و الواو اعتراضية وهذا التذييل مسوق لتحذير المؤمنين من تسرب أحوال الكافرين إلى أعمالهم، فإن من أحوالهم المن على من ينفقون وأذاه[4].

بعد أن قدم لنا هذا المثل هذه الصورة المثيرة للرعب يبقى الاختيار بيد المؤمن للنحو الذي ستكون عليه صدقته إما صافية وفيها إخلاص. وإما مشوبة بالمن والأذى فتضمحل وتتجرف.

---

[1] ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص48.

[2] المصدر نفسه، ص48.

[3] المصدر نفسه، ص48.

[4] المصدر السابق، ص49.

المثل السابع:

قال تعالى:(وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [**265**].

إن الحق يريد أن يضرب لنا المثل الذي يوضح الصنف الثاني من المنفقين في سبيل الله تعالى ابتغاء مرضاته وتثبيتا من أنفسهم الإيمانية ضد النفس الشهوانية، ورغم أن هذا المثل كسابقه عن الإنفاق لكن يختلف عنه في أنه يعكس الجوانب الإيجابية للإنفاق، غير تلك الجوانب التي تحدث عنها المثل السابق والتي تزامنت مع المن والأذى، لأن الحديث هنا عن الإنفاق المتزامن مع الإخلاص.

1- دلالة المثل:

مما ورد في التفاسير من بيان لمعاني هذه الآيات الكريمات مايلي:

يقول السعدي: " هذا مثل المنفقين أموالهم على وجه تزكو عليه نفقاتهم وتقبل به صدقاتهم وقصدهم بذلك رضى ربهم والفوز بقربه، (وتثبيتا من أنفسهم) أي: صدر الإنفاق على وجه منشرحة له النفس سخية به، لا على وجه التردد وضعف النفس في إخراجها، فمثل نفقة هؤلاء (كمثل جنة) أي: كثيرة الأشجار، وهذه الجنة (بربوة) أي: مكان مرتفع ضاح للشمس، فثماره أكثر الثمار وأحسنها، فـ (أصابها وابل) وهو المطر الغزير، فتضاعفت ثمراتها لطيب أرضها، فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ) أي مطر قليل يكفيها لطيب منبتها، فهذه

حالة المنفقين، أهل النفقات الكثيرة والقليلة كل على حساب حاله، وختم تعالى هذا الكلام بقوله: (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فوعد به المنفقين ابتغاء مرضاته وتثبيتاً من أنفسهم بعظم الأجر وحسن المثوبة" 1.

وهذا ما رام إليه أبو بكر الجزائري إذ يقول: "إن الحق يخبرنا أن الذين ينفقون أموالهم طلبا لرضا الله ثابتون على وجه السماحة ، فمثل هذا العمل (كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ)وهو المكان المرتفع، لأنه يتبين للرياح والشمس، فإن لم يصبها ذلك الوابل الغزير، فمطر خفيف كاف لها، لطيب منبتها، وحسن أرضها، ولهذا (فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ) أي متضاعفا، (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)أي: لا يخفي عليه من أعمال عباده شيء"2.

وذهب الزمخشري في تفسيره لهذه الآية "أن مثل نفقة الذين يبذلون أموالهم وأرواحهم في سبيل الله تشبه في زكائها عند الله، بستانا واقعا في مكان مرتفع وقد خصها بالإرتفاع لأن الشجر فيها يكون أزكى وأحسن ثمرا، ولما أصاب هذا البستان مطر عظيم القطر تضاعفت ثمراته، وإن لم تسقط عليه الأمطار الغزيرة فيكفيه رذاذ المطر لكرم منبتها، ولهذا مثل الله حال نفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل، فكما أن كلا من المطرين يضعف أكل الجنة، فكذلك النفقة بعد أن يطلب بها وجه الله تعالى ويبذل فيها الوسع "3.

---

[1]- ينظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص97.

2- ينظر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ص 288.

3- ينظر الزمخشري، تفسير الكشاف، ص150.

تنهي دلالة هذا المثل إلى أن المؤمنين يريدون أمرين: أولهما رضا الله تعالى، والثاني الاستمرار على فعل الخير حتى يستمر ثوابهم، فكانت النتيجة أن ضاعف الله عز وجل لهم المثوبة كما تضاعف أُكُل الجنة ضعفين.

2- المثل والتلقي:

قدمت لنا هذه الآية صورة بديعة جميلة وواضحة وأثرها بليغ على النفس في ترغيبها للصدقة المخلصة لوجه الله سبحانه، واجتمع في هذا المثل الإقناع العقلي والإمتاع العاطفي، اللذيْنِ يستطعهما إنسان مهما بلغ قمة الفصاحة والبلاغة.

لأهمية الانفاق والبذل في سبيل الله، كرر الله سبحانه ضرب المثل عليه وعلى المتصفين به لأن الأمر إذا تكرر تقرر، لهذا جاء هذا المثل تأكيدا للثناء على المنفقين بإخلاص وتفننا في التمثيل، " فإنه قد مثله فيما سلف تمثيلا غير كثير التركيب، لتحصل السرعة في تخيل مضاعفة الثواب، فلما مثل حال المنفق رئاء بالتمثيل الذي مضى، أعيد تمثيل حال المنفق ابتغاء مرضاة الله تعالى بما هو أعجب في حسن التشبيه، فإن الأمثال كلما كانت أكثر تركيبا كانت أكثر تأثيرا وإبهاجا للسامع.1"

فقد ساق الله تعالى هذا المثل ليبين الإنفاق المثالي، الذي يرتكز على دعائم من الإخلاص والتقرب إليه وتثبيت الإيمان في النفس، وهذا الإنفاق مهما كانت قيمته فإن مثوبته قائمة، وجزاءه لاينقطع، فالذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله، وتثبيتا من أنفسهم فشأنهم عظيم عند الله2.

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3.

2ينظر سميح عاطف الزين، معجم الأمثال في القرآن الكريم، ط2، دار الكتاب اللبناني، 2009، ص690.

وفي جانب البيان نلاحظ أن هذه الآية تشتمل على تشبيه تمثيلي وهو عبارة عن تمثيل صورة مركبة بأخرى مثلها أما الأولى فهي عقلية مجردة، والثانية حسية طبيعية لتقريب المعنى الأول وتوضيحه.

والصورة العقلية تتمثل في نماء النفقة المرجو بها وجه الله ورضاه. وأما الصورة الحسية الممثلة لها فهي حال الجنة أو البستان الواقع على ربوة.

أما أدوات التشبيه المستخدمة فهي كلمة (مثل) في أول الآية، وكلمة (مثل) في وسطها سبقها حرف الكاف، ووجه الشبه: هو الهيئة الحاصلة من النمو و الزيادة، سواء أنزل عليها وابل أو طل.

أما جانب البلاغة فنلاحظ فيه أن لهذا المثل إعجازًا وروعة ودقة وجمالاً، وفيه نوع من البيان والإيضاح، وهذا ما نلمسه في هذه الآية، أولا نجد كلمة (مرضات) أتت لتكثير وبيان شدة رغبة المنفقين في الرضا الإلهي الجميل، وقد جاءت تاؤها مفتوحة إشارة إلى انفتاح الخيرات وانبساطها، وهذا من الإعجاز في الرسم القرآني البديع.

وأما لفظة (الجنة) فهي أبلغ من لفظة (البستان) في السياق، وقد أضفت على الآية مسحة من الجمال، لأن الحديث جاء عن الذين يبتغون مرضاة الله بإنفاق أموالهم في سبيله، وهؤلاء لا يسرهم إلا الحديث عن الجنة ونعيمها وجمالها التى تثير إعجابهم للاستمرار في فعل الخير) .فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ) الفاء استئنافية وإِنْ شرطية ولم حرف نفي، فهنا حذف إيجاز وتقديره: (إن لم يصبها وابل فيصيبها طل)، وقد حذف الفعل (يصيبها) لتفادي التكرار وثقله على السامع.

ونلاحظ لفظتي (الوابل) و(الطل): أن الوابل هو المطر الغزير والطل هو المطر الخفيف، والمقابلة بين الوابل والطل تضفي على المثل جمالا لفظيا رائعا.

كما أن هناك مماثلة وتناسقًا في المعنى بين الوابل والإنفاق الكثير. وبين الطل والإنفاق القليل.

ثم يأتي قوله تعالى (وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) الواو استئنافية يحمل معنى الترغيب والترهيب

معا، إذ يرغب في الإنفاق ابتغاء مرضاة الله، ويحمل معنى الترهيب لمن يخالف ذلك.
ففي الآية خطاب للعقل بأن يفكر ويتأمل وينظر في عاقبة الأمور، فما ينفقه الإنسان ابتغاء مرضاة الله سيجد أثره في الآخرة، وما أنفقه في الدنيا من أجل الدنيا فسينتهي بانتهاء الدنيا.

المثل الثامن:

قال تعالى:(أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُفَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) [266].

بعد أن ضرب الله تعالى مثلًا عن الصدقة التى يتبعها من وأذى، ثم ضرب مثلًا عن الصدقة التى يريد بها صاحبها وجه الله تعالى يعود القرآن العظيم فيضرب مثلًا ثالثا لعباده على سبيل الاستفهام تقريباً للأذهان، ليبين لهم أسوأ النتائج وأقصى درجات الحرمان لعدم الإخلاص في الإنفاق في سبيل الله واتباعه بالمن والأذى، إذ قدم الله سبحانه لنا هذه الصورة الحية للذي يعمل أعمالا كالصدقات والزكاة وغيرها لكنه يرائي ما عمل، فيوم القيامة يأتي وهو في أشد حاجة إلى كل حسنة فيرى كل أعماله ضاعت ولم يستفد منها.

1- دلالة المثل:

كثير من المفسرين لجأوا إلى شرح دلالة هذه الآية بالقول إن:" هذا مثلاً للكافرين والمنافقين، كهيئة رجل غرس بستانا، فأكثر فيه الأشجار والثمار، (وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ) يعني صاحب الجنة قد أصابه الكبر وأقعده عن الكسب من غير تلك الحديقة اليانعة، وله فضلا عن شيخوخته وعجزه ذرية ضعفاء لا يقدرون على العمل، وبينما هو على هذه الحالة إذ بالجنة أصابها ريح فيه نار فأحرقتها، ولم يكن عنده قوة ليغرسها ثانية، وبقي هو وأولاده

في حالة شديدة من البؤس والحيرة والغم، وهكذا حال غير المخلصين في نفقاتهم يأتون يوم القيامة ولا حسنة لهم"[1] .

وممن فسروها أيضا من يقول :"هذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله، فإذا أتى يوم القيامة وجدها محبطة، فيتحسر على ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار، فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف، والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة، وعن الحسن قال: هذا مثل قل والله من يعقله شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه، فهو أفقر ما كان إلى جنته. وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا"[2].

هذا المثل مضروب لمن عمل عملا لوجه الله تعالى من صدقة أو غيرها ثم عمل أعمالا تفسده،" فمثله كمثل صاحب هذا البستان الذي فيه من كل الثمرات النخيل والعنب وغيرها، وتلك الجنة فيها الأنهار الجارية التي تسقيها،ثم إنه أصابه الكبر فضعف عن العمل، وكان له ذرية ضعفاء، فبينما هو كذلك إذ أصاب تلك الجنة إعصار وهو ريح عاصفة محملة بالنار فأحرقت تلك الجنة، كذلك الله يبطل عمل هذا المنافق والمرائي حيث لا مغيث لهما ولا توبة ولا إقالة "[3].

وخلاصة القول أن هذا المثل صور لنا نموذجا من واقع الحياة البشرية حيث نجد كثيرا من أمثال هذا الشيخ الكبير ممن يظنون أنهم يحسنون عملا، غير أنهم سينصدمون من نتائج أفعالهم يوم الحساب.

2- المثل والتلقي:

الهدف من هذا المثل هو التفكر والتعقل والتدبر، ووفقا لهذه الآية الشريفة، فإنه على

[1]- ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص267.

[2]- ينظر البغوي، تفسير البغوي، ج1، ص329.

[3]- ينظر الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 151.

الإنسان أن يودع نفسه ويعتقد أن كل ما يقوم به من أعمال وطاعات وعبادات قليلة في حق الله وأن ما يصله من الله تعالى من نعيم هو بلطفه وإحسانه لا لعمل وعبادة أستحق بها تلك النعم.

وفي جانب البيان نجد أن هذه الآية الكريمة تشتمل على تشبيه تمثيلي في غاية الروعة يتمثل المشبه في الذي ينفق ماله متبوعا بما يحبطه من عمل السوء.

والمشبه به: هو الذي كانت له جنة تحتها الأنهار وتزينها الثمار فأرسل الله ريحا فيها نار فأحرقت الجنة.

ووجه الشبه المشترك بين الحالتين: هو تقديم عمل من الأعمال قد أتبع بما يفسده، فيؤدي ذلك إلى عدم الإنتفاع منه في أحوج الأوقات إليه .

وبدراسة سياق الآية تظهر بلاغة هذا المثل في جمال أسلوبه ونسق ألفاظه، نشير إلى بعضها:

منها أن الله تعالى أخرج هذا المثل مخرج الاستفهام الإنكاري لأنه أبلغ من النفي والنهي وأحسن استعمالا، فقد عبر الله سبحانه بلفظ الواحد، وهو أبلغ من قوله (أيودون) وأبلغ من قوله (أيريد) لأن محبة هذه الحال المذكورة وتمنيها أقبح وأنكر من مجرد إرادتها[1].

وقد ذكر الله تعالى النخيل والأعناب في هذا المثل لأنهما أشرف من غيرهما من الثمار وأنفعها، ونلاحظ أنه نص على النخيل دون الثمرة، وعلى ثمرة الكرم دون الكرم، وذلك لأن أعظم منافع الكرم هو ثمرته دون أصله، في حين النخيل كله منافع عظيمة[2].

وأما الحديث عن الأنهار التي تجري تحت الجنة فجاء مسبوقا ب:(من)، وهذا يوحي أن نبعها ذاتي فيها والمائية مملوكة لها[3].

فقال تعالى (فَأَصَابَهَا (نرى في هذه الكلمة استخدام حرف الفاء لوصف مشهد إحراق البستان

---

[1]– ينظر الرازي، مفاتيح الغيب ص 63 .

[2]– ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص 672.

[3]– ينظر الشعراوي، خواطري حول القرآن الكريم، أخبار اليوم، دط، دس، ج1، ص1159.

ثم قال تعالى (فَاحْتَرَقَتْ) والفاء في اللغة العربية تدل على السرعة والمباغتة، وهذا ما يحدث بالضبط في حالة إعصار النار، لأن الإعصار يتشكل بشكل مفاجيء، ويحرق الأشجار بسرعة كبيرة[1].

فكل إنسان مؤمن عليه أن يتذكر ساعة أن ينفق هذا الابتلاء المثير للطمع، وذلك الانتهاء المليء باليأس.

المثل التاسع:

قال تعالى:(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) **275** .

يمثل هذا المثل صورة منتزعة من الواقع وخيال الناس معا، فلهذا ضرب الله تعالى به مثلا لعذاب الذين يأكلون الربا، ولا يتوبون إلى بارئهم منه، ويرون مع ذلك أنهم لا يفعلون شيئا منكرا، ويعترضون على حكم الله ويرفضونه.

1- دلالة الآية:

يقول الشيرازي في تفسير الآية الكريمة:" إنَّ آكلي الربا سيبتلون يوم المحشر بعدم التعادل والتوازن في المشي ويبدون كأنهم مصروعون أو مجانين، وسبب ابتلاء هؤلاء بهذا المصير هو أنَّهم إضافة إلي أكلهم الربا كانوا يسعون إلي تبرير عملهم بالقول: إنَّ البيع مثل الربا، فكما الأول حلال كذلك الثاني، وأجابهم الله تعالى بقوله:(أَحَلَّ اللهُ البيعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) يعني حلية البيع والمعاملة به لوجود مصلحة في ذلك عكس الربا، ففيه مفسدة . (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فانْتَهَي فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إلي اللهِ) في هذا تصريح من الله سبحانه بشمول العفو والمغفرة لأولئك الذين كانوا يمارسون الربا قبل هذه الآية فلا إثم عليهم، (وَمَنْ عَادَ فأُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُونَ) يهدد الله تعالى في هذه الآية أولئك الذين يعاودون

[1]- ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص 673.

ممارسة هذا العمل علمهم به، فإنَّ جهنم تنتظرهم وسيكونون مخلدين فيها "[1].

وعن ابن عثيمين يقول: " إنَّ الذين يأخذون الرِّبا، فينتفعون به بأكلٍ، أو شربٍ، أو لِباسٍ، وغير ذلك من وجوه الا نتفاع، إنَّما يقومون في الآخرة من قُبورهم، كالمجانين، أي: هذا الذي يُصيبهم يومَ القيامة، من قُبْح حالهم، من أجل أنهم كانوا في الدنيا يَكذِبون ويعترضون على أحكام الله تعالى في شَرْعه.

وقوله تعالى:(وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) أي أباح البيع ومنع الربا، وهذا رد لقولهم: (إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) فأبطل الله هذه الشبهة بما ذكر، وقوله تعالى:(فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) أي: مَن بلَغه النَّهي عن الرِّبا والتخويف من أكْله، فكَفَّ عن الربا بالتوبة منه، فله ما أكَل منه وأخَذ فيما مضى قبل نزول تحريمه، ومن عاد لأكلِ الرِّبا وأصرَّ على أنَّ البيعَ مثلُ الرِّبا بعدَ أن أتته الموعظة، فقد استوجب عقوبةَ اللهِ تعالى بملازمةِ نارِه خالدًا فيها "[2].

كذلك نجد في كلام البغوي أنه:"حذّر سبحانه عن أخذ الربا وبيّن ما لصاحبه من العذاب يوم القيامة فقال: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا) في الدنيا (لاَ يَقُومُونَ) يوم البعث من قبورهم (إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسّ) يعني كمثل السكران الذي يتخبّطه الشيطان من شدّة السكر. وقوله (ذَلِكَ) أي ذلك العذاب لهم (بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) فردّ الله تعالى عليهم وذمّ فعلهم فقال (وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا)، (فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ) أي فمن بلغه وعظ من الله (فَانتَهَىَ) عن أكل الربا)فَلَهُ مَا سَلَفَ) أي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له، (وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ) في الرزق والعيش، ومن عاد بعد التحريم إلى أكل الربا مستحلا له فأولئك مكانهم في النار"[3].

---

[1]ينظر مكارم الشيرازي أمثال القرآن، ط2، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، دس، ص 120.

[2]ينظر ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم، ج3، ص374.

[3]ينظر البغوي، تفسير البغوي، ج1، ص340.

بعد هذه الدلالات التي عرضناها نستشعر مدى قبح صورة المرابي بسبب عبادته المادة والشهوات التي صرفته عن طريق الحق.

2- المثل والتلقي:

تمثل هذه الآية صورة منفرة بشعة يخافها كل من سمع بها، وهي صورة المرابي الذي استغل أموال الفقراء وامتص أموالهم بما أخذه من زيادة غير مشروعة على ما ساعدهم به من مال ساعة حاجتهم، فهذه صورة تكرهها النفس ولا يرضاها الإنسان، ومن هذا التأثير وذلك النفور الشديد تؤخذ العبرة من هذا المثل، ألا وهي الابتعاد عن متعامل الربا ومحاولة كسب الحلال.

تبين هذه الآية عاقبة المرابين والتنفير من حالهم وأنهم كما جن جنونهم في الدنيا بجمع المال عوقبوا في الآخرة بقاعة الجزاء من جنس العمل، ففي هذه الصورة الحية المتحركة تهديد واضح للمتعاملين بالربا، وهي صورة معهودة للناس إذا تذكروا رؤية المجنون وهو يتخبط بحركاته اللاوعية واللامسؤولة، فالنص القرآني كذلك يعرضها لتؤدي دورها الإيماني في تحريك وهز مشاعر المرابين لتخرجهم من عادتهم السيئة في نظامهم الاقتصادي وفي تمسكهم بالفوائد التي يكسبونها من الربا[1].

كما بين المراغي: "أن الله عز وجل حرم هذه الآفة لكونها من أهم العوامل التي تؤدي إلي تبطيل المعايش، بما أن المرابي لا يقرض المال إلا بزيادة، فقد جعل الله طريق التعامل بين الناس في معايشهم أن يستفيد كل منهم من الآخر في نظير عوض، لكن الربا أخذ مال بلا، عوض وهذا نوع من الظلم لأن للمال حقا وحرمة، فلا يجوز لغير صاحبه الاستيلاء عليه قهرا بطريقة غير شرعية"[2].

وفي جانب البيان نلاحظ أن الآية الكريمة تشتمل على تشبيه تمثيلي، إذ شبهت حال آكلي الربا أثناء خروجهم من قبورهم، يوم القيامة في ثقل أجسامهم وضخامة بطونهم ووقوعهم

[1] ينظر سميح عاطف الزين، معجم أمثال القرآن، ص697.

[2] - ينظر المراغي، تفسير المراغي، ج3، ص59.

على الأرض، شبهت حالهم تلك بحال من أصابه مس من الشيطان.

فوجه الشبه: هو تلك الهيئة الحادثة مضطربة وأفعال مختلفة حائرة تؤدي إلى عدم القدرة على فعل شيء.

وتبدو لنا البلاغة القرآنية في هذا المثل في أن الله تعالى ابتدأ موضوع الربا بذكر سوء مصير أهلها وهذا دليل على حكمة الله تعالى وعظمته.

وهذا ما نراه في قوله سبحانه: (يأكلون الربا) ولم يقل)يأخذون) أو (يتعاملون) ولعل السبب في ذلك أن الأكل أقصى مقاصد الإنسان في المال[1].

ونلاحظ في كلمة (قالوا) يجوز أن تكون مجازية لأن اعتقادهم مساواة البيع للربا يستلزم أن يقوله قائل، فأطلق القول وأريد لازمه، وهو الإعتقاد[2].

وفي قولهم: (إنما البيع مثل الربا) فهو تشبيه مقلوب وهم يريدون القول بأن الربا مثل البيع ليصلوا إلى غرضهم، وهو تحليل ما حرّمه الله تعالى، فعكسوا الكلام للمبالغة.

يؤخذ من هذه الأقوال أن آكلي الربا عندما يدخلون المحشر يوم القيامة يدخلون كالسكارى أو المجانين، لكونها من أكبر الكبائر التي نهى الله تعالى عنها وهي أقبح السيئات لأنها تستولي على حق الإنسان، وعلى هذا يجب أن يتقي المسلم الله سبحانه ويحذر من المعاملات الربوية والتعاون مع أهلها في ذلك.

[1]- ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ، ج2، ص 704.

[2]- ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص83.

خاتمة

خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتتنزل البركات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد :

بعد دراستنا لموضوع الأمثال في القرآن الكريم خلصنا إلى مجموعة من النتائج نبرز أهمها فيما يأتي:

– أن لفظ المثل يحمل عدة دلالات منها "الشبه، النظير، الوصف، العبرة، الحكمة، المدح والثناء.

– أن الأمثال القرآنية ليست كالأمثال التي اعتاد عليها الناس، ذات المورد والمضرب، فقد أوجدها الله تعالى ولم يكن لها مورد من قبل.

– أن أمثال القرآن الكريم لها عدة تعريفات لدى العلماء وتتفق معظمها حول كونها تمثيلا لحال أمر بحال أمر آخر وأنها تبرز المعنى في صورة موجزة سهلة للفهم والاستيعاب.

– أن أنواع الأمثال في القرآن الكريم، ثلاثة كما عدها السيوطي وهي المصرحة والكامنة والمرسلة وقد أضاف العلماء نوعين آخرين وهما الأمثال القصصية والقياسية لتصبح بذلك خمسة أنواع.

– أن من أغراض الأمثال القرآنية، التذكير والوعظ والحث والزجر وتقريب المعقول من المحسوس الذي يلمسه الناس.

– أن للأمثال قيمة تتلخص في أنها مرآة تري الإنسان وجهه وحقيقة نفسه، وما في حياته من أشياء، كما تريه ما خلفه من مشاهد يعجز أن يراها بغيره، فهي مرآة صادقة للحياة.

– أن الله تعالى يضرب للناس الأمثال من الصور المألوفة لديهم والتي يعرفونها في واقعهم كالطبيعة والمخلوقات كي يسهل عليهم تخيل المشهد وفهم المثل بشكل أسرع.

– أن معظم المفسرين لم يختلفوا في تفسيرهم للأمثال الواردة في القرآن الكريم.

– أن الله سبحانه لا يستحي أن يضرب الأمثال بالأشياء الحقيرة كالبعوض والذباب لأن الغاية من ضرب الأمثال هي الهداية والإرشاد وبيان الحق.

– أن الله تعالى وصف الثواب بأسلوب مشوق ومؤثر يجعل النفس تنقاد للإنفاق والصدقة في سبيل الله.

– أن مضاعفة الأجر والثواب تكون على حسب نية المنفق وبقدر ما أعطى فمن كانت نفقته كبيرة يكون أجره كبيرا ومن كانت نفقته قليلة يكون أجره قليلا.

– أن الله سبحانه بيّن أن المن والأذى يبطلان أجر الصدقة ويذهبان فائدتها.

– أن الربا من أكبر الكبائر وقد حرمه الله تعالى لأنه يفسد المال على صاحبه ويمحق بركته ويسبب عدم قبول العمل الصالح.

وهكذا نكون قد أتممنا بحثنا الذي نرجو أن نكون ساهمنا من خلاله في إبراز أهمية الأمثال في القرآن الكريم وتأثيرها على النفوس، ولا يسعنا بهذه المناسبة إلّا أن نقول: إن أصبنا فذلك توفيق من الله تعالى، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، وحسبنا الاجتهاد وحسن النية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المعاجم والقواميس:

1/ ابن فارس أبو الحسن بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399- 1979 .

2/ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، مطبعة بولاق، القاهرة، دس، مادة (م ث ل).

3/ الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس، تح: عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكورت، ط2، دس .

4/ الزمخشري، أساس البلاغة، تر: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، دس .

5/ سميح عاطف الزين، معجم الأمثال في القرآن الكريم، ط2، دار الكتاب اللبناني،2009 .

6/ الفيروزابادي، قاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق تراث في مؤسسة الرسالة، دار الرسالة، بيروت.-لبنان، ط2، 2005 .

7/ كمال الخلايلي، معجم كنوز الأمثال والحكم العربية، مكتبة لبنان، ط1، 1998 .

8/ محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1413- 1993 .

التفاسير:

1/ ابن عثيمين، تفسير القران الكريم

2/ أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ط3، نهر الخير، 1990 .

3/ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت–لبنان، دط، دس .

4/ الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إداره الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، دت .

5/ البغوي، تفسير البغوي .

6/ الرازي، مفاتيح الغيب، دار الطباعة القاهرة، دط، 1308 .

7/ الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، تح: الشيخ السلام الموجود، مكتبة العبيكان، ط1، 1998–1418 .

8/ الزمخشري، تفسير الكشاف، تعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط3، 2009.

9/ سمر حاووط، أول الغيث في تفسير سورة الفاتحة والجزء الأول من سورة البقرة، دار المأمون للنشر، 2008 .

10/ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984

11/ لطبري، جامع البيان عن تفسير أي القرآن تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة.

12/ عفيف عبد الفتاح طبارة، تفسير سورة البقرة، ط1، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، 2007 .

13/ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة.

14/ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المنار، ط2، 1947 .

15/ المراغي، تفسير المراغي

المصادر والمراجع:

1/ ابن القيم الجوزية إعلام الموقعين المكتبة العصرية صيدا، بيروت– لبنان، دط، 1987 .

2/ مدارج السالكين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، دس .

3/ ابن عبد ربه الجوهرة في الأمثال، تح: عبد المجيد الرصيني، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1983 .

4/ أحمد أمين، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط2، دس .

5/ أحمد علي سعيد محمد، الأمثال في القرآن الكريم، دراسة دلالية إحصائية، جامعة السودان، 2016 .

6/ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دط، دس .

7/ الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، علق عليها السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت– لبنان، ط1، 2003.

8/ الجرجاني، الشريف كتاب التعريفات، دار الفضيلة –ايميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، دط، دس .

9/ الجرجاني، عبد القاهر أسرار البلاغة، تح: أحمد مصطفى المراغي، محمود محمد شاكر، مطبعة الاستقامة، 1960 .

10/ الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين تعليق: محمد كريم راجح، دار إقرأ، لبنان، ط4، 1985 .

11/ الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمد حجي، دار الثقافة، دار البيضاء– المغرب، ط1، 1981 .

12/ خالق داد ملك، الخطاب القرآني وأنواعه، دراسة بلاغية، بنجاب لاهور– باكستان، 2015.

13/ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، دط، دس .

14/ الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط2، 1987 .

15/ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن جزم، بيروت –لبنان، ط1، 2003 .

16/ سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، ش1997 .

17/ سميرة عدلي محمد رزق، وجوه البيان في أمثال القرآن، جامعة أم القرى، مكة .

18/ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط، 2008 .

19/ السيوطي عبد الرحمن جلال، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998 .

20/ صابر حسن محمد أبو سليمان، غاية البيان في أمثال القرآن، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 2001 .

21/ صباح طه السمرائي، الحكمة عند الأصوليين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، 2007

22/ عبد الرحمن بن حنبكة الميداني، أمثال القرآن الكريم، ط2، دار القلم دمشق، 1996 .

23/ عبد الرحمن سعود ايداح، أدب الخطاب في القرآن الكريم، دروب للنشر والتوزيع، دط، تح: عمان العبد لي، 2016 .

24/ عبد العال الطهطاوي، عون الحنان في شرح أمثال القرآن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان .

25/ عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الأدب السامية الأخرى، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط1، 1989 .

26/ عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق–سوريا، ط1 ،1988 .

27/ علاء اسماعيل الحمزاوي، الأمثال العربية والأمثال العامية، مقارنة دلالية، جامعة الميناء، دط، دس .

28/ القلقشندي صبح الأعشى، دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1922 .

29/ كامل موسى، التبيان في علوم القرآن، بيروت– لبنان، دط، دس .

المجلات والرسائل الجامعية

1/ محمد بكر اسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط2، 1999 .

2/ محمد بن إدريس الشافعي الرسالة عن أصل بخط الربيع سليمان، تح: أحمد محمد شاكر المكتبه العلمية، بيروت– لبنان، دط، دس .

3/ محمد توفيق، الأمثال العربية والعصر الجاهلي: دراسة تحليلية، دار النقاش، بيروت– لبنان، ط1، 1988 .

4/ محمود عكاشة، خطاب السلطة الإعلامي، مكتبة دار المعرفة، ط1، 2004 .

5/ المفضل بن سلمة الظبي، الفاخر في الأمثال، تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، 2011 .

6/ مكارم الشيرازي، أمثال القرآن، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، ط2، دس .

الفهرس

- الإهداء

- مقدمة

- الفصل الأول : المثل من الخطاب القرآني

- المبحث الأول: الخطاب القرآني..... 1

- لغة 1

- اصطلاحا 2

- في القرآن.....3

المبحث الثاني: المثل، مفهومه، أنواعه، خصائصه الأسلوبية، أهميته

- مفهوم المثل 5

- لغة 5

- اصطلاحا 6

- مفهوم المثل القرآني.....

- أنواع الأمثال.....11

- الخصائص الأسلوبية للمثل.....

- أهمية الأمثال 18

- المبحث الثالث: بين المثل والحكمة

- مفهوم الحكمة.....21
- لغة 21
- اصطلاحا 22
- الفرق بين المثل والحكمة.....24
- الفصل الثاني: دراسة دلالية لنماذج من الأمثال في سورة البقرة
المبحث الأول :التقديم لسورة البقرة 28
1- تسميتها.....28
2- نزولها 28
3- أقسامها.....29
4- مواضيعها.....29
5- فضلها 30
المبحث الثاني:دراسة دلالية للمثل من سورة البقرة
- دلالة المثل الأول.....32
- دلالة المثل الثاني.....35
- دلالة المثل الثالث.....38
- دلالة المثل الرابع 41
- دلالة المثل الخامس.....43

- دلالة المثل السادس.....49
- دلالة المثل السابع.....53
- دلالة المثل الثامن.....57
- دلالة المثل التاسع.....60
المبحث الثالث: أثر المثل في دلالة الآية من سورة البقرة
- أثر المثل الأول 33
- أثر المثل الثاني 37
- أثر المثل الثالث.....40
- أثر المثل الرابع.....43
- أثر المثل الخامس 46
- أثر المثل السادس.....50
- أثر المثل السابع.....55
- أثر المثل الثامن.....58
-أثر المثل التاسع.....62
خاتمة.....64
قائمة المصادر والمراجع.....68
الفهرس.....77

الملخص

جاء موضوع بحثنا تحت عنوان أثر الأمثال في دلالات الخطاب القرآني سورة البقرة أنموذجا، فمن خلال هذا البحث تعرفنا على الأمثال الصريحة الواردة في سورة البقرة وكذا معانيها عند مختلف المفسرين كما أننا سلطنا الضوء في دراستنا على أبرز الأثار الناتجة عن الأمثال سواء في بلاغة الخطاب القرآني، أو في نفس المؤمن. ولتحقيق هذا عمدنا إلى تقسيم بحثنا إلى: مقدمة وفصل نظري وآخر تطبيقي وخاتمة.

- **الكلمات المفتاحية:** الأمثال- الخطاب القراني -سورة البقرة- الدلالات- الأثر.